

(دمشق) : آب سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ ١١٦

المحاضرة السابعة عشرة

حياة المتنبي (١)

— ٩ —

لو سألنا ابا الطيب عن الاسباب التي من اجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً لبيّنها لنا دون شيء من جمجمة الكلام ، فانه لما أقام بمصر بعد الرحيل من حلب وستعلمون كيف كان ذلك ، اتصل به ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة و بهذا تستدلون على انه لم ينج من حسد الحساد في قربه منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا يتمنون موته فقال قصيدته التي اولها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وفي هذه القصيدة عرّض بسيف الدولة فقال :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرُّ على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن

هذا ما حمله على الانزعاج عن سيف الدولة وفي هذا الشعر من القوارص ما فيه فلم

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

يصن سيف الدولة عرض المتنبي ولم تسلم نعمته عليه من المنة والاذى وهو يعلم في باطنه ان سيف الدولة احق الناس به :

ولله سيري ما أقل تئية   عشية شرقي الحوالي وغرب
عشية احفى الناس بي من جفوته   واهدى الطريقين التي أتجنب

ومع هذا جفاه ، فارقه لما شكا من امره ما شكاه :

الى اين صار المتنبي بعد ان ترك سيف الدولة وكيف اتصل بكافور ، وفي اي شيء كان يطمع وهو في مصر ، وهل خشي كافور جانبه فأضمر له الشر ، هل سلم المتنبيء من عداوة بعض الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف هرب ابو الطيب من مصر ، هل استماله سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة ، ما ذا لقي المتنبيء في بغداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، اين قصد بعد تركه دار السلام ، هل استطاب المتنبيء إقامته بظل عضد الدولة في بلاد العجم ، كيف قتل ابو الطيب ، كيف همدت هذه الروح المضطربة التي ماذاقت لذة الهدؤ في يوم من الايام ، ولاعرفت نعمة السكون في ساعة من الساعات .

الى اين صار المتنبيء بعد مفارقته سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ، جاء في الصبح المنبيء ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين وثلاثمائة لم يجد بلداً أقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار الى دمشق ، والقى بها عصا التسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بابن ملك ، من قبل كافور ملك مصر فالتمس من المتنبيء ان يمدحه فثقل عليه ، فغضب ابن ملك وجعل كافور الإخشيدي يكتب في طلب المتنبيء من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب قال : لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ثم نبت دمشق بابي الطيب ، فسار الى الرملة فحمل اليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلي . وكان كافور الإخشيدي يقول لاصحابه أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا وأخبر المتنبيء انه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من امير الرملة فسار اليه »

فقبل ان يتصل المتنبيء بكافور اتصل بامير الرملة الحسن بن طغج فمدحه ، وفي هذه القصيدة يقول :

وفارقت شر الارض اهلاً وتربة بها علوي جده غيرها ثم

فمن هو هذا العلوي الذي غضب عليه المتنبيء والظاهر ان جماعة هددوه ، وهم علويون فأشار اليهم في قصيدة ثانية يقولها في ابي القاسم طاهر العلوي :

أتاني وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل في وحدي قولهم غير كاذب
الي لعمري قصد كل عجيبة كأني عجيب في عيون العجائب

فما كاد يسلم المتنبيء من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكأن بينه وبين المصائب صلة رحم ، فلننظر اليه وهو في حضرة كافور فهل نجا من هذه المصائب .

لما قدم ابو الطيب على كافور الإخشيدي امر له بمنزل ، ووكل به جماعة ، واظهر التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال يمدحه بقصيدته التي اولها :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن أمانيا

وأنشده اياها في جمادى الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان المتنبيء لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق وكان لا يجلس في مجلس كافور .

هكذا اتصل المتنبيء بكافور الإخشيدي ، ولكنه في هذه المرة سمت به نفسه الى أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يستفيده وانما امتدت هذه الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتي في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده

وأعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا

نعم لم يكن لقلبه في هذه المرة مدى ينتهي به في مراد من المرادات .

ومن في الناس يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلبًا بين جنبي ما له   مدى ينتهي بي في مراد احده

ولقد اكثر من المصارحة بما في نفسه :

فان نلت ما أملت منك فربما   شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لانه   نظير فعال الصادق القول وعده

وألح على كافور في قضاء هذه الحاجة التي شغلت باله :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية   فجودك يكسوني وشغلك يسلب

واستنجزه وعده :

ارى لي بقربي منك عينًا قريرة   وان كان قربًا بالبعاد يشاب

وهل نافعي ان ترفع الحجب بيننا   ودون الذي املت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتي بيان عندها وخطاب

طمع المتنبيء في الولاية فسأل كافورًا ان يوليه صيداء من بلاد الشام او غيرها من بلاد الصعيد وكان كافور قدوعده بان يبلغه جميع ما في نفسه ولكنه خاف جانبه وتهيب امره فقال له : انت في حالة الفقر وسوء الحال ، وعدم المعين سمت بك نفسك الى النبوة فان اصبت الولاية وصار لك اتباع فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه العيون والأرصاد خوفاً من ان يهرب وأحس المتنبيء بالشر .

ولم يخل ابو الطيب وهو في ظلال كافور من جماعة كانوا يبغضونه ويوغرون صدر كافور ، وفي جملتهم ابن حرابة وزير كافور والمقرب منه ، وقد كان المتنبيء مدحه ، فكان ابن حرابة يشيع استهزاء المتنبيء بكافور في مدائحه ، والحقيقة ان ابا الطيب قد سخر من كافور في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :

وما طربي لما رأيتك بدعة   لقد كنت ارجو ان أراك فأطرب

فجعل كافوراً بدعة من البدع حتى قال ابن جني : لما قرأت على ابي الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على ان جعلت الرجل ابازنة وهي كنية القرد فضحك . ومن قوله :

ويغنيك عما ينسب الناس انه   اليك تناهى المكرمات والنسب

وهذا البيت ظاهره أبلغ المديح ولكن باطنه لا يخلو من غمزة الهجة .

وقد أشار المتنبيء الى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم ان ذكر لون السواد على مسامع كافور أمرّ من الموت . فمن قوله :

ان في ثوبك الذي المجد فيه   لضياء يزري بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض   النفس خير من ابيضاض القباء

وهذان البيتان فيهما تعريض بسواد كافور وأصرح منهما :

من لبيض الملوك ان تبدل اللون   بلون الاستاذ والسحناء

فلا يبعد ان ابن حرابة كان يذيع مهزأة المتنبيء بكافور حتى يكيد له ، فما أشبه ما كان يقع لابي الطيب وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء الغوائل به وكان ابوالطيب وهو في مجالس كافور يتعرض للادباء والشعراء فيجلب عداوتهم لنفسه . في جملة هؤلاء الشعراء ابوالقاسم بن ابي العفير الانصاري فقد عارضه المتنبيء بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي اولها :

(نظر المحب الى الحبيب غرام)

فقال له : العرب لاتقول : اليه غرام وانما تقول : له ، فقال له الانصاري العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ، والوزير ابوبكر بن صالح الروزباذي حاضر والوزير ابوالفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الانصاري قصيدة منها هذان البيتان يعرض فيهما بالمتنبيء :

لما تعرض لي بمقت حاسد   ابدى الملام وكيف يرضي الحاسد
ما زال ينشد قائماً حتى اذا   انشدت عارضني لأني قاعد

* * *

لم يستطع المتنبيء بعد هذا كله ان يطيل الاقامة بمصر ، ولعل مدحه لابي شجاع فاتك المعروف بالمجنون قد زاد في حنق كافور وان كان كافور قد أذن له في مدحه ، فان في القصيدة التي مدحه بها بيتاً يحمل كافوراً على الشك في امر المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني   ظهور جري فلي فيهن تصهال

وقد قال الواحدي في تفسير هذا البيت : ان لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فاني أمدحك الى أوان ذلك كما ان الجواد اذا شكل عن الحركة صهل شوقاً اليها .

من اجل هذا كله فكر المتنبيُ في الخروج من مصر وقد حثه احد معارفه على الهرب فآخر قصيدة قالها في كافور :

منى كن لي ان البياض خضاب   فيخفي بتبييض القرون شباب

وانقطع ابو الطيب بعد انشـاده هذه القصيدة لايلقى الاسود الا ان يركب فيسير معه في الطريق ثم عجل الرحيل وقد أعد كل مايحتاج اليه على مر الايام بلطف ورفق ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين فكان خروجه من مصر سنة خمسين وثلاثمائة فأقام بمصر اربع سنين بوجه التقريب ، وفي يوم عرفة اي قبل مسيره بيوم واحد قال قصيدته :

عيد باية حال عدت يا عيد   بما مضى ام لامر فيك تجديد

وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده ، وعلى ايلام هذا الحسد اياه :

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبه   اني بما انا شـاك منه محسود

هرب ابوالطيب من مصر في يوم العيد من سنة خمسين وثلاثمائة ، وأخفى طريقه فلم يظهر له اثر وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغائب وكتب الى عماله وسائر اعماله فأخفق .

ضرب المتنبيُ في البوادي في طريقـه الى الكوفة ومر باماكن ومياه كثيرة ذكرها في قصيدته التي اولها :

الا كل ماشية الخيزلى   فدى كل ماشية الهيذبى

ولكن عبيده انكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واخذوا يسرقون له الشيءَ بعـد الشيءَ من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في طريقه الى الكوفة في حسمى برجل يقال له وردان الطائي استغوى وردان عبيد ابي الطيب فلما شعر المتنبيُ بذلك ضرب احد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وامر الغلمان فأجهزوا عليه ، والى ذلك أشار في هجاء وردان :

اشذ بعرسه عني عبيـدي   فأتلفهم ومالي أتلفوه

فان شقيت بايديهم جيادي   لقـد شقيت بمنصلي الوجوه

تنكر عبيده له وربما أضمروا تسليمه فتركهم في ذات ليلة نياماً وشد على الجمال وسار والقوم لايعلمون برحيله حتى توسط بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة فرأى بعض عبيده ثوراً يلوح فقال : هذه منارة . ونظر آخر الى نعامة فقال : هذه نخلة فضحك ابو الطيب وقال :

بسيطة مهلاً سقيت القطارا　　تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل　　وظنوا الصوار عليك المنارا

ومن هذا يتبين لكم ما كنت قلته من ان اباالطيب اخذ يتكلم بكلام الملوك ، فقد صار له عبيد وغرق في المكارم .

وما زال يضرب في البوادي حتى وصل الى الكوفة فأناخ وركز رماحه بين المكارم والعلى :

وبتنا نقبل أسيافنا　　ونمسحها من دماء العدى

وكان دخوله الكوفة في جمادى الآخرة من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

هل طمع سيف الدولة في عودة المتنبي اليه بعد رجوعه الى الكوفة ؟

لما عاد ابوالطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة فشاقتها قلائد المتنبي فأنفذ سيف الدولة ابنه من حلب الى الكوفة ومعه هدية الى المتنبي وهذا ما يدلنا على تعلق سيف الدولة بابي الطيب فكأن امير حلب ندم على مافات فأحب ان يصلح ما أفسده ، فمدحه ابو الطيب وكتب بقصيدته التي اولها :

ما لنا كلنا جو يا رسول　　انا أهوى وقلبك المتبول

اليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة اي بعد ان انقطعت مدائحه فيه مدة ست سنين ، وفي هذه القصيدة مايدل على ان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة وان وقع بينهما ما وقع :

من عبيدي ان عشت لي الف　　كافور ولي من نداك ريف ونيل

ولما توفيت اخت سيف الدولة بميافارقين وورد خبرها الى الكوفة عزاه بها المتنبي وكتب بقصيدته اليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه القصيدة أحب المتنبي ان ينفي عن نفسه الظن بفتور محبته لسيف الدولة فقال :

يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب

بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

والقصيدة فياضة بشعور ابي الطيب ٠

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المتنبيء عن بعد فانه طمع في رجوعه الى ظلاله فأنفذ اليه كتاباً بخطه الى الكوفة يسأله المسير اليه فأجابه بقصيدة ارسلها اليه ، في ميافارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واعتذر المتنبيء عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عاقني غير خوف الوشاة وان الوشايات طرق الكذب

وتكثير قوم وتقليلهم وتقريبهم بيننا والخبب

وقد كان ينصرهم سمعه وينصرني قلبه والحسب

وعاتب سيف الدولة على شدة محبته اياه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة والابيات كلها تعريض بالماضي :

وليت شكاتك في جسمه وليتك تجزي ببغض وحب

فلو كنت تجزي به نلت منك اضعف حظ باقوى سبب

اقام المتنبيء بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه التقريب اي من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو بغداد فوقع بينه وبين ابي علي الحاتمي ما وقع فالظاهر ان اباالطيب لما قدم دارالسلام عظم احتقاره لغيره من الناس فثقلت وطأته على اهل الادب وكان ابو علي الحاتمي قد قصده في مجلسه فلم يبال به المتنبيء وأعرض عنه استصغاراً لشأنه فكاد ابو علي يتميز غيظاً ، حتى انبرى له و بالغ في تعنيفه فاعتذر المتنبيء عن ذنبه وأقبل كل منهما على صاحبه ثم اخذ ابو علي ينقد بعض شعر المتنبيء واشتد جدالهما ثم تصافيا في آخر المجلس وتأكدت بينهما الصحبة ، وصار ابو علي يتردد الى ابي الطيب أحياناً ٠

ولما نجا المتنبيء من شر ابي علي وقع في شر الوزير المهلبي في بغداد وفي شر معزالدولة نفسه لان معز الدولة ساءه ان يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولان الوزير المهلبي ساءه ترفع ابوالطيب عن مدحه ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك فشق ذلك

على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الثعالبي حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه مايكره وتماجنوا به وتنادروا عليه فلم يجبهم ولم يفكر فيهم وقيل له في ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه واغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقولي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الثعالبي فلم يسع المتنبئ الا الهرب من بغداد .

فاتخذ الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجان فسار اليها مراغماً للمهلبي الوزير فورد ارجان واحمد مورده وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة .

وقد كان ابوالطيب في مدحه لابن العميد يتهيبه لمنزلة ابن العميد في الادب فمن قوله فيه :

ما كفاني تقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناه انتقاده
انني أصيد البزاة ولكن اجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده
ماتعودت ان أرى كأبي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفاً فنهض ابن العميد من مجلسه وأجلسه في دسته ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختار منها واحداً ثقيل الحلى ، واختار ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سبقي الذي اخترته

أجود ثم اصطلحا على تجربتهما فقال ابن العميد : فبماذ تجربهما ؟ فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فطلب ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فان احد الخدم يلتقطها و يأتي بها اليك فقال ابوالطيب : بل صاحب الحاجة اولى ٠

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره فودع ابو الطيب ابن العميد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد ابا شجاع عضد الدولة وقد كان الصاحب طمع في زيارة المتنبي اياه باصبهان على ما ذكره الثعالبي واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وهو اذ ذاك شاب وحاله حويلة ولم يكن استوزر بعد ، وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته واحفظهم لها واكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ٠

لم يعرج ابوالطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضدالدولة بشيراز وكان ابوعلي الفارسي اذذاك بشيراز وكان ممر المتنبي الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستثقله على قبح زيه وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ، وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الاعجاب بشعره لايبالي باحد يذمه او يحط منه ، وكان يسوءه اطناب ابي علي في ذمه حتى ذكر ابن جني ابياتاً من شعر ابي الطيب فاستحسنها ابو علي واستعادها وكثر اعجابه بها واستغرابه لمعناها ولما علم ابو علي الفارسي ان المتنبي هو قائل هذه الابيات نهض ودخل على عضد الدولة فأثنى على ابي الطيب ولما جاز به استنزله واستنشده وكتب عنه أبياتاً ٠

وكان ابا الطيب قد استطاب الاقامة بظل عضد الدولة فقد انجحت سفرته على ماذكره الثعالبي وربحت تجارته بحضرته ووصل اليه في صلاته اكثر من مائتي الف درهم ثم استأذنه في المسير عنه ليقضي حوائج نفسه ثم يعود ٠

لعل الله يجعله رحيلاً يعين على الاقامة في ذراكا

وأذن له وامر بان تخلع عليه الخلع الخاصة و يقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلته بالمال الكثير فامتثل ذلك وانشده ابو الطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة الكافية التي هي آخر شعره وفي اضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعى فيه نفسه منه قوله :

وانى شئت يا طرقي فكوني أذاة او نجاة او هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه ابنه محسد وغلامه ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه فتعرض له فاتك خال ضبة الذي هجاه المتنبي بقصيدته المشهورة :

(ما انصف القوم ضبة)

وقد كان داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته بالقبح في شعره ، واتصل به انصراف المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل ديرالعاقول فجمع عشرين رجلاً من بني عمه فقتله بضيعة تقرب من دير العاقول في يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وقتل ابنه محسد وغلامه فوجه احد معارف المتنبي واسمه ابوالنصر من دفنه ودفن ابنه وغلامه وذهبت دماؤهم هدراً .

وقد كان ابوالنصر هذا نصح للمتنبي ان يكون معه في الطريق جماعة يمشون بين يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فاتك من التعرض له والعزم على قتله ، ووافق غلام المتنبي على رأي ابي النصر ، فقطب ابو الطيب وجهه واغتاظ من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابو النصر : انا اوجه من قبلي قوماً في حاجة يسيرون بمسيرك وهم في خفارتك فابى ابو الطيب فكان من امره ما كان .

وقيل سبب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من يسأله : اين هذا من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعطاء عضدالدولة تطبعاً فغضب

عضد الدولة فلما انصرف جهز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد ن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه : اين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال : قتلتني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشح فتقدموه ووقع به ما وقع .

ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن المظفر بن الطبسي ، ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، ورثاه ابو الفتح عثمان بن جني .

هكذا كانت خاتمة احدى وخمسين سنة انقضت في قلق واضطراب ، هكذا كانت خاتمة قلب ما له مدى ينتهي بصاحبه في مراد من المرادات لقد همدت هذه الروح التي جالت فيها أفكار الناس مدة الف سنة ونيف .

دمشق : في ١٢ نيسان سنة ١٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »
« للدكتور محمد شرف »

— ٢ —

(٢٢) كثيراً ما ينقل المؤلف الحروف التي تدل على الأنواع النباتيـة كما وردت في اللاتينية فيسمي مثلاً النبات (Sabbatia angularis) شبطية انجيولاريس على انه كان يجب ان يسميه الشبطية الكثيرة الزوايا وقد عثرت على عدد كبير من مثل ذلك .

واذا ترجم الحروف المذكورة غلط في ترجمتها احياناً مثاله (Sabbatia campestris) فقد ترجمها بلفظ شبطية الآجام والصواب الشبطية السهليـة . واذا أعيته ترجمة هذه الحروف صرف النظر عن ذلك مثاله انه أطلق اسم الخبازى والخبيز على كل من الانواع النباتية الآتية وهي :

Malva parviflora

〃 sylvestris

〃 verticillata

وكان يجب ان يسمي الاولى الخبازة الصغيرة الزهر والثانية الخبازة الأجمية والثالثة الخبازة الدولابية او الكوكبية او الدوارية وهكذا .

(٢٣) لم يذكر الاسماء اللاتينية للحشرات الآتية وهي :

الجراد الراحل	Acridium peregrinum
الجراد المراكشي	Stauronotus marocanus
دودة لوز القطن	Earias insulana
سوس المدس	Bruchus lentis
منّ الفول	Aphis fabœ

الى عشرات غيرها من الحشرات المهمة التي تضر بالنباتات الزراعية والتي لا يجوز ان يخلو منها معجم علمي .

(٢٤) سمى النبات (Medicago sativa) البرسيم الحجازي والقَضْب ونسي اصح اسم له وهو الفصفصة والرَّطْبة ٠

(٢٥) ذكر النبات (Andropogon alepii) فسماه (ذره شامي) ولم أدر من اين اتى بذلك فالذرة الشامية هي (Zea mays) ثم ان حرف الذرة مؤنث فلما ذا يجعله مذكراً ٠

(٢٦) عرّف النبات (Nicotiana rustica) بانه (الدخان البلدي) قلت هذا التعريف لا معنى له وقد ذكر بوست ان هذا النوع هو نوع التنباك ٠

(٢٧) عرّف الثمرة المسماة (Capsule) بما يلي (ثمرة جافة منفتحة مكونة من مدقة مركبة) وقد سميتها الجروج جراء يقال جراء الخشخاش (انظر ج ٤ م ١٠ من هذه المجلة) ٠

(٢٨) ذكر أنواعاً من البلوط لا وجود لها في مصر والشام وبلاد العرب السائرة وسها عن ذكر الانواع الآتية وهي أهم اشجار حراج الشام :

السنديان	Quercus coccifera
الملول	〃 lusitanica
البلوط الاخضر « البهش »	〃 ilex
البلوط المسمى عفصاً	〃 œgilops

(٢٩) لم يذكر الماش (وهو حب مشهور في الشام) بين انواع الجنس المسمى (Vigna) ٠

(٣٠) ترجم (Petal) بلفظ (بتلة ، ورقة نويجية) واصلح لفظة لها هي القمالة ٠

(٣١) لم يذكر الدفران (Juniperus drupacea) وهو من الاشجار المشهورة في بعض حراج الشام ٠

(٣٢) ترجم (Anther) بلفظة انثيرومتك ووعاء الطلع الخ ٠ قلت ان أصلح الألفاظ على ما أرى هما مئبر ومئبار وقد ذكرهما العالم المحقق الطبيب ابن المعلوف (انظر ج ٨ م ٨ من هذه المجلة) ٠

(٣٣) قال عندما ذكر (Tilletia) انه جنس من الفطر الأستيلاجي ولم يزد على ذلك ٠ قلت كان يجب ان يذكر على الاقل النوع المسمى (Tilletia caries)

وهو الذي يوجد مرض نخر الحبوب اي حفرها وتسوسها ويسمى بالفرنسية (Carie) وهو غير مرض (السويد) الذي يحصل من أنواع الجنس المسمى (Ustilago) . وقال في ذكر الجنس الاخير ان (Tilletia fœtens) هو صدأ القمح على حين ان مرض الصدأ في الحبوب يحصل من طفيليات أخرى تنسب الى جنس (Puccinia) مثل (P. triticina) و (P. graminis) و (P. glumarum) ولم يورد صاحب المعجم منها شيئاً في معجمه .

(٣٤) ذكر خمسة أنواع من جنس (Polygonum) وترك اهم انواع هذا الجنس اي :

P. fagopirum
〃 tartaricum
〃 emarginatum

وهي أنواع الحنطة السوداء (Sarrasin) التي تكثر زراعتها في اوربة وبلاد الصقالبة خاصة .

(٣٥) الكتاب كثير الأغلاط العربية والمطبعية . فقد فتحت الصفحة ١٦١ عرضاً فوجدت فيها ما يلي :

« نقةُ أ ، بُرْعمَ ، ضفدعة زيتوني سمراء ، مايل للبياض أفريقيا أسْمَنْدَة »
والصواب « نقةٌ ، بَرْعَم ، ضفدعة زيتونية سمراء ، ضارب الى بياض إفريقية ، أسمندة » .

(٣٦) وجاء في الصفحة نفسها ان نبات (Menyanthes trifoliata) هو البرسيم والأطريفل . فهذان الحرفان لايطلقان على النبات المذكور بل على أنواع النباتات التي هي من جنس (Trifolium) ولئن سمى الاوربيون النبات الاول « طرفيل الماء » فلأن اوراقه أشبه اوراق الطرفيل لا لأنه برسيم او اطريفل .

(٣٧) ترجم جنس (Tritolium) بلفظ (تراي فوليوم و برسيم) ولم يقل انه جنس النفل[1] والطرفيل والاطريفل والطريفلن (ابن البيطار) وهواشهر من ان يعرف .

(١) يطلق الشاميون هذه اللفظة على أنواع الطريفلن والفصفصة والحندقوق وغيرها

وعندما ذكر نبات (Trifolium pratense) غلط غلطتين الاولى ترجمته بالبرسيم الاحمر والصواب برسيم المروج (او البرسيم العادي كما تسميه معظم الامم الاوربية) والثانية رسمه الحرف الذي يدل على النوع هكذا (Partense) .

(٣٨) ترجم لفظة (Spore) بما يلي : « بزرة النباتات خفية التزوج او عديمة الأزهار » قلت اني استعملت لها لفظة غبير والواحدة غبيرة . ووجدتها اخيراً في احد كتب الدكتور بوست . وهي على كل حال أرجح من ذلك التعريف الطويل العريض وان كانت من الغبار .

(٣٩) سمى الجنس (Viscum) شجرة الدبق والدابوق . قلت الأرجح شجرة الهدالة (انظر ج ٤ و٦ م ١٠ من هذه المجلة) وكان يجب ان يذكر النوع (Viscum album) على الأقل .

(٤٠) لم يذكر جنس (Diospyros) وانواعه العديدة ومنها بلح طرابزون (مشمش اليابان ، كاكي ، بلاكمينيا) وهي شجرة مثمرة مشهورة .

(٤١) لم يذكر مرض الجماع (الحلاق ، البَجَل) في الخيل المسمى (Durine) وهو مهم .

(٤٢) لم أجد ذكراً للكرسنة (Vicia ervilia) وهي من القطاني الدائمة .

(٤٣) لم يذكر لجنس (Styrax) وجنس (Cercis) انواعاً . وكان من المفيد ذكر النوعين الآتيين :

اللبنى «الأبهر»	Styrax officinalis
الزمزريق	Cercis siliquastrum

وهما مبذولان في لبنان خاصةً .

(٤٤) قال ان الحشرة المسماة (Sitotroga cerealella) هي دودة الشعير .

من نباتات الفصيلة السنفية « قطانية ، قرنية » التي تنبتها الطبيعة في المروج مع أنواع من الفصيلة النجيلية فتسمن عليها الخيل والماشية . وقد خصت لفظة النفل اليوم بنباتات الطريفلن ولا يحول ما كتب عنها في المعاجم اللغوية دون ذلك .

قلت هذه الحشرة تسطو على حبوب الحنطة والشعير والذرة والشوفان وغيرها واسمها يدل على ذلك . فيجب إذن تسميتها بما يلي « نوع من سوس الحبوب » لانها ليست خاصة بالشعير . ولايخفى ان أهم حشرات السوس التي تسطو على الحبوب في الانابير ثلاث وهي اولاً هذه التي نتكلم عنهـا ، ثانياً (Calandra granària) وهذا النوع لم يذكره المؤلف بل اكتفى باسم الجنس وقال « جنس من خنافس الحبوب » . والأرجح «جنس من سوس الحبوب » . ثالثاً (Tinea granella) وهذا النوع ايضاً لم يذكره صاحب المعجم بل اكتفى بذكر الجنس فقال « تينيـا — نوع من العث او السوس » والصواب « جنس فيه أنواع من العث وسوس الحبوب » .

(٤٥) ذكر في مقدمة المعجم في جملة المؤنثات السماعية الألفاظ الآتية وهي : « الصدر والضحي والرحم والجراد والمسك والسبيل » قلت لقد وَهِمَ المؤلف فان هـذه الحروف تذكر وتؤنث . وكان يجب ان يشير الى ذلك .

وذكر في جملتها ايضاً «الظهر» وهو مذكر لا غير .

هذه هي الاغلاط والنواقص التي عثرت عليهـا في جلستين وانا لا أدعي العصمة فيما كتبت كما انني لا أنكر ان صاحب المعجم ذو فضل كبير وان معجمه هو الاول في بابه لكنه يستحيل على فرد من الافراد اياً كان ان يؤلف وحده معجماً علمياً خالياً من الاغلاط والنواقص ولذلك كان يجب على الدكتور محمد شرف بك المحترم ان يشرك بعمله الجليل ذوي الاختصاص بعلوم الزراعة والنبـات والحيوان وغيرها فيكون معجمه خالياً من الشوائب وصالحاً لغير الاطباء ممن يراجعون المعجم لتحري الألفاظ المستعملة في تلك العلوم .

واذا سُئلتُ هل معجم الدكتور شرف ثقة في المصطلحات الطبية فانني غير صالح للاجابة عن ذلك . اما من حيث المصطلحات الزراعية فأرى ان المعجم (طبعته الثانيـة سنة ١٩٢٨) كثير النواقص لايفي باغراض تلامذة المدارس الزراعية وخريجيها فلعل المؤلف يتلافى هذه النواقص في الطبعة الثالثة .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

رسالة الكرم

« موضع الكرم »

الفِرْدَوْس بالكسر الموضع تكون فيه الكروم مذكر وقد يؤنث . قال في اللسان والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم فردوساً . واهل الشام يقولون للكروم والبساتين الفراديس . ويقال كرم مفردس اي معرش .

الجَنَّة — الحديقة ذات الشجر والنخل والجمع جِنان . وقال ابو علي في التذكرة لا تكون الجنة في كلام العرب الا وفيها نخل وعنب فان لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فحديقة وليست بجنة كذا في لسان العرب ونحوه في التاج وفي المخصص فان كانت اشجاراً لا نخل فيها ولا أعناب فهي الحدائق وسائر النبات الرياض وفي القرآن الكريم . (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) .

الحديقة كل ارض ذات شجر مثمر ونخل . وقيل الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب قال :

صُوريّة أولعتُ باشتهارها ناصلة الحقوين من ازارها
يطرق كلب الحي من حذارها أعْطَيَتُ فيها طائعاً أو كارها
حديقة غلباء [1] في جدارها وفرساً أنثى وعبداً فارها

أراد انه أعطاها نخلاً وكرماً محدقاً عليها [2] وذلك أنفع للنخل والكرم لانه لا يحدق عليه الا وهو مضنون به مُنفِس وانما أراد انه غالى بمهرها على ماهي به من الاشتهار وخلائق الاشرار . وفي اللسان . وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة .

والبستان بالضم الحديقة او الحديقة من النخل قيل انه عربي وقيل معرب بوستان اي آخذ الرائحة [3] سقطت الواو عند الاستعمال ثم توسع فيه حتى أطلقوه على الأشجار

(١) عظيمة متكاثفة . (٢) كذا في اللسان والتاج ولعله من قولهم أحدق به اذا استدار وأحاط به . (٣) او مجمع الرائحة .

وفي التاج البستنبان هو حافظ البستان . وفيه ايضاً الناحي خادم البستان وفي التكملة هو البستانبان وفي اللسان الجَوَّار الذي يعمل لك في كرم او بستان أكّاراً . وقدم اعرابي من نجد بعض القرى فقال :

سقى نجداً وساكنه هزيم ... حثيث الودق منسكب يماني
بلاد لا يحس البق فيها ... ولا يُدرى بها ماالبَسْتَقاني
ولم يستب ساكنها عشاء ... بكشخان ولا بالقرطبان

قيل البَسْتَقاني صاحب البستان وقيل الناطور .

الحائط الجدار والبستان من النخل اذا كان عليه حائط اي جدار جمعه حوائط . وجاء في الحديث (على اهل الحوائط حفظها بالنهار) يعني البساتين وهو عام فيها . وجاء في كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي والمخصص لابن سيده وغيرهما اطلاق الحائط على الكرم وسيأتي ذلك . ويقال حوّط كرمه تحويطاً بنى حوله حائطاً فهومحوّط وفي اللسان . ويقال للارض المحاط عليها حائط وحديقة فاذا لم يحيط[1] عليها فهي ضاحية وفي التاج .

الحاجر كرم مثناث[2] وهومطمان له حروف مشرفة تحبس عليه الماء وبذلك سمي حاجراً والجمع حُجْران . والحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض كالمَحْجِر .

والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به كالحاجور .

جدر العنب حائطه جمعه جُدُور . والجَدْر والجِدار الحائط وجدرُه يجدره جدراً حوطه وجدَّرَه شيده واجتدره بناه والجدْر اصل الجدار والجَدير المكان يبنى حوله جدار و يقال للحظيرة من صخر جديرة .

«الوشيعة والحظيرة»

الوَشيع حظيرة الشجر حول الكرم والبستان والجمع الوشائع . و يقال وشعوا على كرومهم توشيعاً . حظروا عليها بالشجر . ووشع كرمه جعل له وشيعاً وهو ان يبني جداره بقصب او سعف يشبك الجدار به وهو التوشيع .

ويقال للوشيع السياج قال في اللسان السياج الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم

(١) كذا في اللسان . (٢) يقال ارض مثناث وانيثة اي سهلة منبات ليست بغليظة .

والبستان وقد سيّج على الكرم . ويقال حظر كرمه بالسياج وهو ان يسيج حائطه بالشوك لئلا يتسوّر .

والحظيرة ما أحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب . وكل ما حال بينك وبين شيء فهو حظار وحَظار وحجار والمحتظر الذي يعمل الحظيرة واحتظر القوم وحظّروا اتخذوا حظيرة .

والحَظِر الشيء المحتظر به وقيل الشجر المحتظر به وقيل الشوك الرطب ومنه قولهم وقع في الحَظِر الرطب . اذا وقع فيما لا طاقة له به .

« الحفر والركايا »

الشَرَبة بالتحريك كالحويض يحفر حول الشجرة ويملأ ماء فيكون ريها فتتروى منه والجمع شَرَب وشَرَبات وشرّب الارض والنخل جعل لها شربات .

الجِباب الركايا تحفر وينصب فيها العنب اي يغرس فيها كما يحفر للفسيلة من النخل الواحد جُبّ . والركايا جمع ركية وهي البئر تحفر من ركا الارض ركواً اذا حفرها حفراً مستطيلاً . وفي اللسان ركا ركواً حفر حوضاً مستطيلاً .

الجَبايا الركايا التي تحفر وتنصب فيها قضبان الكرم .

الفُقُر ركايا محفورة بعضها الى جنب بعض وينفذ بعضها الى بعض واحدها فقير وفي اللسان الفقير البئر التي تغرس فيها الفسيلة ثم يكبس حولها بترنوق المسيل وهو الطين وبالدمن وهو البعر . وقيل الفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست . وفقروا الفُقُر بعضها الى بعض اي أفضوا .

الجُفْرة الحفرة الواسعة المستديرة . وحفرة كل شيء وسطه ومعظمه . والجُفَر خروق الدعائم التي تحفر لها تحت الارض .

« طرق الماء »

الكِظامة . القناة تكون في حوائط الأعناب والكرم . وقيل هي ركايا الكرم وقد أفضى بعضها الى بعض وتناسقت كأنها نهر . وكظموا الكظامة . جدروها بجَدْرَين والجدر طين حافتيها .

القُتْرة الخرق الذي يدخل منه الماء الحائط (والقتبرة صنبور القناة) .

السَرَب خشبة جوفاء تجعل في القتبرة فيدخل منها الماء حتى لا يأكل الحائط وفي

التاج السرب القناة الجوفاء يدخل منها الماء الحائط ·

الركيب مابين النهرين من الكرم او مابين الحائطين من النخل والكرم وفي المخصص كل نهر من أنهار الكرم فهو ركيب والجمع رُكُب · وفي اللسان الركيب المشارة وقيل الجدول بين الدبرتين وقيل هي مابين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي مابين النهرين من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة · وقال في : عرق : والركيب النهر الذي يدخل منه الماء الحائط · والجَدْر والظهر مابين الركيبين من التراب المرتفع ويقال لكل شطر من الركيبين سرِيَّة والجمع السرايا وعراق الركيب حاشيته من ادناه الى منتهاه والجمع أعْرِقة ·

في الرسالة المنسوبة للاصمعي ولا بد للحائط اذا لم تكن له كظامة (قناة) من ان يكون فيه اللُفُج والخُلُج والفُلُج والثعالب في أواسط الحائط وأعلاه اه ·

واللفج مجرى السيل · والخلج جمع خليج وهو في الاصل : شعبة تتشعب من الوادي تعبّر بعض ماءه الى مكان آخر · وما انقطع من معظم الماء لانه يجبذ منه وقد اختلج · ونهر في شق من النهر الاعظم وجناحا النهر خليجاه · والفلج الساقية التي تجري الى جميع الحائط · والفلجان سواقي الزرع · والنبائث اعضاد الفلجان واحدتهـا نبيثة · والثعالب جمع ثعلب وهو مخرج الماء من جرين التمر · والجُحْر الذي يسيل منه ماء المطر · ومخرج الماء من الدبار او الحوض ·

والسَّرِيّ النهر الصغير كالجدول يجري الى النخل والجمع أسْرِية وسُرْيان ·

ولا بد من القصاب والقصاب ان تقطع فيه الثمائل وتبنى بناء عراق الحائط بناء مخلخلاً لايخلب بالطين فاذا أراد ان يخرج الماء منه فلا تهدم الثمائل · وعراق الحائط أسفله يخرج منه الماء الذي يدخل الحائط ·

والثمائل الضفائر التي تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث واحدتهـا ثميلة · وقيـل الثميلة الجَدْر نفسه · وقيل الثمائل البنـاء الذي فيـه الغراس والخَفْض والوقائذ (الخفض حجر يبنى به والوقائذ جمع وقيذة وهي الحجارة المفروشة) ·

وفي اللسان القصابة مسناة تبنى في اللَهْج كراهية ان يستجمع السيل فيوبل الحائط اي يذهب به الوبل و ينهدم عراقه · ه ·

وفي التاج القصاب ككتاب وفي نسخة ككتابة مسناة تبنى في اللحف بالكسر هكذا في النسخ وفي بعض الامهات في اللهج اه . واللحف اصل الجبل . وليس للاهج في عبارة اللسان معنى . ولا للحف في عبارة التاج مناسبة ولذلك قال بعضهم الصواب في الجف بالجيم محركاً وهو محبس السيل . وحفر في جانب البئر . ولا يبعد ان يكون اللاهج محرفاً اللفج وقد تقدم انه مجرى السيل .

« العزق »

والحائط يعزق في كل سنة بالمعزقة والمعزقة لها شعبتان يجمعهما رأس واحد فيعتزقونه حتى يذهب شجره و يكرب الحبل وانما يعزق في زمن الحطاب . وفي اللسان عزق الارض يعزِقها شقها و كربها ولا يقال ذلك في غير الارض والمِعزَقة والمِعزَق (كمكنسة ومنبر) الر من حديد ونحوه مما يحفر به الارض وجمعه المعازق . وقال ابن بري : المعزقة ما تعزق به الارض فأساً كانت او مسحاة او شكة وهي البيلة[1] المعقفة . وأعزق الرجل عمل بالمعزقة وهي المر الذي يكون مع الحفارين . وارض معزوقة اذا شقت بفأس او غيره .

« شجر الكرم »

الكرم كفلس العنب واحدته كرمة . وقال الاصمعي يقال لشجر العنب الكرم والحبل قال الشاعر :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

وقيل الكرمة الطاقة[2] الواحدة من الكرم جمعه كروم . والكرّام كشدّاد حافظ الكرم ويقال له اللامص كما سيأتي . و يقال هذه البلدة انما هي كرمة ونخلة يعني بذلك الكثرة .

و يقال للكرمة جفنة والجمع جفن بفتح فسكون فيهما . وقيل الجفن اسم مفرد وهو اصل الكرم يقال تجفَن وتجفّن الكرم صار له اصل . وقيل الجفن قضبانه او ورقه . قال الاخطل يصف خابية خمر :

---

(١) هكذا ذكرت في اللسان والتاج ولم أجد الشكة ولا البيلة بهذا المعنى .

(٢) الطاقة بمعنى الشعبة يقال طاقة من ريحان او شعر وطاقة الحبل قوته .

آلت الى النصف من كلفاء أناقها علج وكتمها بالجفن والغار

وقيل الجفن قشر العنب الذي فيه الماء وقيل ضرب من العنب واحدته جفنة . وقال الراغب سمي الكرم جفناً تصوروا انه وعاء للعنب . وقيل الجفن ما ارتقى من الكرم في الشجر فتجفن فيه اي تمكن ولايسمى بذلك غيره . و يقال للخمر ماء الجفن قال الشاعر يصف ريق امرأة و يشبهه بالخمر :

تحسي الضجيع ماء جفن شابه صبيحة البارق مثلوج ثالج

أراد بماء الجفن الخمر . و يقال ايضاً شربوا ماء الجفن اي الكرم .

الحَبَلة بفتحتين و يجوز سكون الباء والحبلة بضم ففتح الكرم وقيل الاصل من اصول الكرم . والحَبَلة طاق من قضبان الكرم . والحَبَل شجر العنب واحدته حبلة ونهى الشرع عن بيع حبل الحبلة بنحر بكها اي حمل الكرمة قبل ان يبلغ . جعل حملها قبل ان نبلغ حبلاً . وكان لأنس بن مالك حبلة تحمل كُرّاً وكان يسميها ام العيال . وهي الاصل من الكرم انتشرت قضبانها عن غراسها وامتدت وكثرت قضبانها حتى بلغ حملها كراً (والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف) .

المَيْس ضرب من الكرم ينهض على ساق بعض النهوض لم يتفرع كله واليه ينسب الزبيب الميسي كذا قاله في التاج . وفي اللسان الميس شجر عظام شبيه في نباته وورقه بالغَرَب واذا كان شاباً فهو ابيض الجوف فاذا تقادم اسود فصار كالآبنوس و يغلظ حتى تتخذ منه الموائد الواسعة والرحال . ثم قال : قال ابن سيده واخبرني اعرابي انه رآه بالطائف قال واليه ينسب الزبيب الذي يسمى الميسي . ولعل ما في التاج أقرب الى الصواب .

الزَرَجون بالتحريك شجرة العنب واحدته زَرَجونة . قال دُكَين بن رجاء :

كأن بالبَرَزاْ المعلولـــ ماء دوالي زرجون ميل

وقيل الزرجون قضبان الكرم ومنه قول الشاعر :

بدلوا من منابت الشيح والاِذ خر تيناً ويانعاً زرجونا

وقيل الزرجون القضيب يغرس من قضبان الكرم وأنشد :

اليك امير المؤمنين بعثتها من الرمل تنوي منبت الزرجون

أراد بمنبت الزرجون الشام لانها اكثر البلاد عنباً ·

وقال ابن سيده : فاذا تأصل واستحكم نباته فكل اصل زرجونة وحبلة وكرم وكرمة وقال في موضع آخر فان غرس الكرم من قضيبه فاسم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو ايضاً زرجونة وجمعه زرجون · ثم قال والحبلة كالشكير وجمعها حبل ·

الحَبَلَة بالتحريك والهاء والحَبَل بحذف الهاء الأصل من اصول الكرم ·

العوادي من الكرم مايغرس في اصول الشجر العظام واحدته عادية · قال الاصمعي ويسمون كرم العنب الذي يعرش[1] في اصول الشجر العظام العوادي وذلك انهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التف شجره الذي لا يخلو اصله من الظل ولا تصيب الشمس ماتحته فيسمونه الصّارّ فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة من الكرم الى الشجرة التي غطت عليها ولايسمونها الحبلة كما يسمونها في الحوائط ولكن يقولون عادية العتمة وعادية العَرْعَرة وعادية الثومة ويسمون العوادي الجفن ومثله في المخصص الا انه قال فيسمونه الضار بالضاد المعجمة وهو تصحيف والصواب الصار بالصاد المهملة · قال في تاج العروس والصار الشجر الملتف الذي لا تخلو اصوله من الظل لاشتباكه ·

«اصطفاف شجره واتساقه»

السريف كأمير السطر من الكرم ·

السُرْبة الصف من الكرم وكل طريقة سربة · وفي المخصص السربة الطريقة من شجر العنب ·

وفي اللسان في مادة (ج ب) والشَّرَبَّة الطريقة من شجر العنب على طريقة شربه ولم يذكرها في مادة (ش ر ب) بهذا المعنى ·

السكة السطر المصطف من الشجر والنخيل · وقال الاصمعي العنب اصيل اي كثير أصلاً وفي التاج عن الاساس ان النخل في ارضنا لأصيل اي هو بها لا يزال باقياً لا يفنى ونحوه في اللسان ·

---

(١) كذا في الاصل والصواب يغرس ·

« النَوْر والزهر »

النَوْر بالفتح الزهر او الابيض منه · وقيل النور الابيض والزهر الاصفر وذلك انه يبيض ثم يصفر وجمعه أنوار · ويقال له النَوْرة والنوار كرمان واحدته نُوّارة ونور الشجر تنو يراً وأنار انارة اخرج نوره وأنار الشجر والنبات وانور ظهر وحسن ·

الزهرة بفتح فسكون وبفتحتين نور كل نبات والجمع زَهْر وازهار وجمع الجمع أزاهير ويقال أزهر النبات والشجر بالالف وازهرّ وازهارّ اذا نور وظهر زهره ويقال زهر النبت كفرح وكرم اذا حسن ·

قال الأصمعي : أزهر العنب · وقد طار الزهر عن العنب وهو ان يخرج زهره اي نوره · وفي المصباح أزهر النبت خرج زهره وزهر يزهر بفتحتين لغة · وفيه قالوا ولا يسمى زهراً حتى يتفتح · وقال ابن قتيبة حتى يصفر وقبل التفتح هو برعوم · و يقال ابْرَأَشَق الشجر اذا أزهر ·

و يقال تفتحت الا كِمّة عن النور اي انشقت وكل ماانكشف عن شيء فقد انفتح عنه وتفتح · وفي اللسان وكل نور تفتح فقد تفقح وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار ·

الزَهْو نور النبت وزهره واشراقه والنبات الناضر وزها النبت يزهو اذا نبت ثمره وأزهى يُزهي اذا احمر او اصفر وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار ·

القعال كغراب نور العنب وشبهه · او القعال ماتناثر عن نور العنب وفاغية الحناء وشبهه من كامه واحدته قُعالة · وأقعل النور انشقت عنه قُعالته وكذلك اقعألّ كاشمعل وأقعل الكرم انشق قعاله وتناثر · والاقتعال تنحية القعال · واقتعله الرجل استنفضه في يده عن شجره · وفي المخصص واذا انتثرت اكمة الكرم فذلك القعال والاقتعال جمعه واخذه · وزعم جماعة ان القعال بزر العنب ·

الكم والكامة بكسرهما غطاء النور والجمع أكِمّة وأكمام وكِمام بالكسر · وكم الكبائس يكُمها كمّاً وكمها تكميماً جعلها في اغطية تكنها كما تجعل العناقيد في الاغطية الى حين صرامها واسم ذلك الغطاء الكِمام · وفي اللسان لكل شجرة مثمرة كُمٌّ وهو برعومته · والكِمام العذوق التي تجعل عليها واحدها كُمّ · وفيه ايضاً وكُم كل نور وعاؤه والجمع أكمام

وا كاميم وهو الكِمام وجمعه أكمّة · وكَمّ الفسيلُ اذا اشفق عليه فستر حتى يقوى · والكُمة بالضم كل ظرف غطيت به شيئًا وألبسته اياه فصار له كالغلاف · واكمام الزرع غُلُفها التي يخرج منها والكِم غلاف الثمر والحب قبل ان يظهر ·

ويقال للأكمة لباس النور · ولباس كل شيء غشاؤه ·

قال اللسان : الكافور كم العنب قبل ان ينوّر · وقال ايضاً وقول العجاج كالكرم اذ نادى من الكافور كافور الكرم الورق المغطي لما في جوفه من العنقود شبهه بكافور[(١)] الطلع (وهو وعاؤه وقشره الاعلى) لانه ينفرج عما فيه ايضاً · وفي المصباح والكافور كم النخل لانه يستر ما في جوفه · وقال ابن فارس الكافور كم العنب قبل ان ينور لانه كفر الوليع[(٢)] اي غطاه ويقال له الكُفَرّى ·

وفي التاج والكافور زمع الكرم وهو الورق المغطى الخ ماجاء في عبارة اللسان ثم قال وجمعه كوافير وكوافر · والمشهور في جمع الكافور كوافير واما كوافر فانه جمع كافر كما صرّح به في اللسان وسيأتي عن المخصص ان البنائق هي الكوافير اي الاغطية ·

البُرعُم والبُرعُمة والبرعوم والبرعومة بضم الباء والعين وسكون الراء فيهن كم ثمر الشجر والنور · وقيل هو زهرة الشجر ونور النبت قبل ان يتفتح وبرعمت الشجرة فهي مبرعمة وتبرعمت اخرجت برعمتها والجمع البراعيم ·

القُنْبُعة غلاف نور الشجرة مثل الخنبعة قنبعت الشجرة اذا صارت زهرتها في قنبعة اي غطاء ·

البَرْهَمة ويضم برعمة الشجر · وفي اللسان بَرهمة الشجر برعمته وهو مجتمع ورقه وثمره ونوره · قال رؤبة : يجلو الوجوه ورده وبرهمه ·

البَهْرَمة زهر النور · وبها روى قول رؤبة السابق وفي اللسان بهرمة النور زهره ·

الحَذْر محركة نور العنب · وحبه بعد البرم وسيأتي ·

الخَمْطَة · ريح نور الكرم وما أشبهه مما له ريح طيبة وليست الشديدة الذكاء طيباً · « للبحث صلة » سليم الجندي

عضو المجمع العلمي

(١) قيل وعاء كل شيء من النبات كافوره · (٢) الوليع الطلع او الطلع قبل ان ينفتح او ما في جوف الطلعة ·

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

— ٧ —

حدثني ابو الحسين قال سمعت اباعيسى احمد بن محمد بن خالد المعروف باخي صخرة يحدث ابي قال ما رأينا احسن رعاية من ابي القاسم عبيد الله ابن سليمان فمن ذلك ان اسماعيل بن ثابت المعروف بالزغل كان يتقلد لابي الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته طساسيج بادوريا وقطربل (١) ومسكن (٢) ونهر بوق (٣) والذنب وكلواذى (٤) ونهربين (٥) فلفق على عبيـد الله بن سليمان وهو اذ ذاك متعطل في منزله بعقب تقضي النكبة عنه ولزومه لبيته ثلاثة . لاف درهم ذكر انهـا تجب عليـه ببادوريا في سنين من مظالم باطلة وبقايا غير لازمة وأحضر وكيله وطالبه بها فقال له أمضي والتقي بصـاحبي واوافقه على الاداء فوكل به عدة من رجالته وانصرف . فصار الى عبيد الله وقال له اغرم للرجالة جعلا ودافع بلقائه يومين الى ان اطرح عليه من يسأله ترك المطالبـة باذ يقررها معه فخرج الوكيل وبذل للرجالة أوفر الاجعال فذكروا انهم لا يقدمون على الافراج عنه خوفاً من الزغل وتكرر الـكلام

«١» م ، ع : قطربل قرية في ضواحي بغداد كانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين.

«٢» م ، ع : مسكن موضع على نهر دجيل كانت به الوقعـة بين عبد الملك ومصعب ابن الزبير . «٣» م ، ع : نهربوق طسوج من سواد بغداد قرب كلواذى .

«٤» كلواذى طسوج قرب بغداد لهج بذكرها الخلعاء كثيراً . «٥» م ، ع : نهر بين ويقال له نهربيل طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

بينهم الى ان وثب حاجب عبيدالله بهم «١» وحال بينهم وبين الوكيل وادخله الدار وانصرفوا فشكوا ذلك الى الزغل واسرفوا خوفاً منـه ليقوم عذرهم فجاء الزغل فأسرف اسرافهم وأضـاف كل قبيح الى عبيد الله وشكاه الى الوزير اسماعيل وقال له انه لا يقدر على استخراج مال عليه الا بالمبالغـة في مكروه عبيد الله والانكار عليه وحبسه بنفسه في الديوان حتى يؤدي ولا يقتدي به المتعذر . وكان اسماعيل من العداوة لعبيد الله والبغض له والخوف منه على محله بمنزلة عظيمة وفيه مع ذلك تشدد في نصرة العمل وجبرية في نفسه فاغتاظ جداً فأحضرني وانا مع ذلك «٢» اتولى له ديوان ضياعه وتقدمته وتدبير الجيش برسمه ومنزلتي في الاختصاص به قوية فقـال احضر هـذا الجاهل عبيد الله بن سليمان وعرفه ما شكا منـه اسماعيل بن ثابت وان جزاءه عليه الابعاد الى طنجة «٣» وقبض نعمته وضياعه واني اعرفه بالعجب والجهل ولولا ان الزمان قد كفاني اسقاطه باسقاط ابيه وصار الى منزلة ان عاقبتـه بما يستحقه جعلت له فيه سوقاً — لما أخرت عقوبته ولكن قل له والله لولا تذممي لأمرت بالاخير (٤) ان يصفع من داره الى ديوان اسماعيل بن ثابت ويقام على رجله حتى يؤدي ما عليـه ولا تدعه من الديوان او يحضر وكيله

«١» م ، ع : كذا في الاصل والمعروف وثب عليه . «٢» لعله حينئذ . «٣» م، ع : كـذا في الاصل : وفي معجم البلدان طنج رستاق بخراسان قرب مرو . وطنجة بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء هي آخر حدود افريقية . ولعل الاصل وان جزاءه عليه الابعاد الى ... «٤» م ، ع : الاخير . الادنى والارذل والموءخر والابعد ويقال في الشتم ابعد الله الاخر والاخير .

وحاجبـه فيسلمهما الى اسماعيل بن ثابت وتصرفه حينئذ ليطالبهما اسماعيل بما عليه . قال فخرجت وكتبت اليه رقعة استدعيه فيها الى الديوان دعوت له فيهـا كما يدعى من الديوان لمثله وهي سطران دعاء وترجمتها من ظاهرها لابي فلان من فلان وكان الـكاتب كتبها عني فلما عرضهـا عليّ زدت فوق الدعاء بخطي يا سيدي وكتبت من داخل الرقعة عبدك وانما أردت توفيـة الحق بذلك وستر الامر عن كاتبي لئلا يسمع اني خاطبته بتعظيم (١) فأقع في مكروه مع اسماعيـل . وزدت في آخر الرقعـة بخطي انه لا يجب ان يستوحش من شيء أتوسطه فاني أحوطه بجهدي وان سبيله ان يحضر عشياً ولا يتأخر فيطرق على نفسه امراً عظيما . وأردت ان يحضر عشياً ليكون مجلسي خالياً فأوفيه الحق ولا يجيء عدوه فان وفيتـه الحق لحقني من الوزير انكار . وان قصرت تذممت اليه وراعيت العواقب فيه . فجاءني في جواب الرقعة عشياً فقمت اليه وكان هذا عظيما محظوراً على مثلي وخاصة في الديوان وصدرته وجلست بين يديه وعرفتـه ماجرى من الزغل واعدت من كلام الوزير من الانكار والايعـاد ما جمل لفظه ، وقلت قال اشياء أخر كثيرة قبيحة عظيمة هائلة لا أستحسن تلقيك بها وأجل سمعك عن ايرادها عليك هذا أقاها وأحسنها ، ومع ذلك فانه أمرني ان لا تبرح او تحضر الوكيل والحاجب ثم استأذنته في انصرافك . فأجاب على ان فعلت هذا ان يصير لك اعتقال ان خالفت ثم لا ادري اي شيء يتولد من طمعه فيك ولا اي

«١» بالاصل بعظيم .

شيء ينجز عليك واكون سببه ولكن اجعلني على ثقة من انفاذك الرجلين اليه وانصرف لاعرفه ماجرى فان انكر عليّ انصرافك بغير اذن جحدته اني سمعت ذلك منه وكن على تحرز من غير ان يشيع ذلك الى ان يجيئك ثقتي بجلية الصورة فتعمل بها وبحسبها اما في الامن او الهرب . فشكرني وقال ما أطمع (١) ان اكافيك على هذا . وقام وقمت بقيامه وودعته وقلت ياغلمان باسركم بين يديه . فخرج وانفذ الرجلين وتوقى توقياً ضعيفاً . ودخلت فعرفت الوزير الصورة وجملت القصة وأمرني بترك التعرض له وتسليم الرجلين الى الزغل . فأحضرت الزغل وسلمت الرجلين اليه وقلت له تقبل رأيي ؟ فقال قل : فقلت قد بلغت ما تريد فأحسن في الامر ماقدرت . فقال ياسيدي هذا ابطال العمل ولا بد من تقويمهما فجهدت به في الاحسان فلم يفعل وانفذ الرجلين الى باب عبيد الله فضربهما عليه كل واحد منهما عشرين مقرعة وصفع الوكيل بعد الضرب خمسين صفعة واستخرج الدراهم ومضت السنون على هذا وفرج الله عن عبيد الله وتقلد الوزارة فاستترت لاجل اختصاصي باسماعيل الوزير وما التزم من جهته . وقبض عبيد الله على الزغل وكان اول من صودر من اسباب اسماعيل وعومل من المكاره بما لم يسمع باعظم منه . ولم يتصرف في ايام عبيد الله الى ان مات وهو يتصدق (٢) واستترت انا اياماً فلم يعرض عبيد الله لطلبي ولا لشيء من داري وضيعتي

«١» لعله : اطمعني . م ، ع : الاظهر ما في الاصل لان المراد اظهار اليأس من القدرة على مكافأته لا التعجب من الطمع في المكافاة .

«٢» م ، ع : تصدق بمعنى سأل وبمعنى اعطى وانكر الاصمعي وغيره كونها بمعنى سأل .

ولا لاهلي ولا معاملي فأنست بذلك وكتبت اليه بعد ذلك أسأل الامان فأمنني فحضرت مجلسه وهو حافل بالناس وبين يديه الخلق من اصحاب الدواوين والقواد. فحين رآني قام الي قياماً تاماً فقبلت رجليه وقلت قيلني (١) الوزير أطال الله بقاءه وليس هذا محلي. فقال ولمَ؟ مايفي قيامي لك بقيامك لي لانك قمت لي في وقت عرضت بقيامك لي نفسك ودمك ونعمتك وحالك لذلك العدو لله. وعاملني بما اف (٢) به شكري ولك كلما تحبه عندي ولن يلحقك سوء في مالك ولا غيره قال ولج به المعتضد في مصادرتي وهو يدفعه عني ويقول له اشياء يدفع بها عني لا اصل لها منها انه قال له هذا قد صادره اسماعيل في ايام تصرفه معه دفعات وافقره على سبيل القرض وكانت له نفقات عظيمة ومروءة وهو مع هذا عفيف لا يرتفق بشيء ولا يجاوز رزقه ولا حال له فيصادر ولا طريق عليه. قال والمعتضد يلح فقال لي عبيد الله ليس لك الا ان تبعد عن المعتضد حتى ينساك. فقلت الامر للوزير فقلدني الخراج والضياع بقم وكتب الى صاحب المعونة يخدمني واخرجني على امر يعظم. وطالبه المعتضد بالتزام مصادرتي فأعاد عليه القول. وقال احتجت الى الاستعانة بكفايته فأنفذته الى قم. فقال فلا بد من الزامه شيئاً هناك فكتب بالصورة الي والزمني عشرين الف دينار وعدني باخلافها علي. فالتزمتها ولم يكن القول بها موءثراً في حالي. فلما أديت منها عشرة آلاف

«١» م، ع: كذا في الاصل ولم نجد في معاني قيل ما يلائم هذا المقام ولعلها محرفة عن قيد، من قولهم قيده باحسانه.

«٢» لعله لم يف.

أسقط الباقي . وسأل المعتضد فيه فحطه عني وماعطاني الى ان مات . فسلمت ونعمتي عليه وكسبت معه نعمة ثانية انا فيها الى الآن ثمرة ذلك الاحسان . وهلك الزغل وبلغ الى الصدقة ومات في الفقر ثمرة ذلك الشر .

ومن عجائب الدنيا وآياتها اشياء في سواد واسط : حدثني جماعة منهم رجل يعرف بابن السراج وغيره ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد ابن سهل بن حامد الواسطي وجده ابو بكر محمد بن سهل كان وجهاً من وجوه الشهود بواسط . ثم تقلد القضاء بها سنين دفعات فأثبت ذلك بخطه محمد بن عبد الله عقيب هذا الكلام : شاهدت على نحو من فرسخ وكسر من رصافة الميمون (١) قرية من قرى النبط او الاكاسر وتعرف بالحراوقله (٢) فيها آثار قديمة من بنايا جير وجص وفيها قبة قائمة كالهيكل كانت قديماً وتمثال رجل من حجر اسود املس عظيم الخلق يعرف عند اهل ذلك الصقع بابي اسحاق لانه يتعاطى قوم من اهل القوة شيله فيسحقهم ويكسر عظامهم وقد قتل وأزمن خلقاً فيذكر اهل الموضع انهم سمعوا أشياخهم يدعونه بذلك على قديم الايام وهذه القرية خراب لا يذكر فيها عمارة قد كان احتمل هذا الحجر رجل يعرف بالجاندى كان على حماية المأمون فعمد اليه وشد فيه الحبال وجره بالبقر الى ان بلغ به موضعاً من الصحراء فأمسى فتركه في موضعه فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن

«١» راجع كتاب المشترك لياقوت الحموي ص ٤١٣ .

«٢» كذا بالاصل : ولعله بالجير او قلة .

الموضع الذي تركه فيه و ن ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الاول وتركه وانصرف . ثم احتمله بعد ذلك رجل آخر من اهل الرصافة على خلق من الحمالين يتناوبون عليه حتى أدخله الرصافة . فحضر اهل ذلك الصقع الذي كان فيه يصيحون ويقولون ان هذا يؤنس به في ذلك المكان وانا نأوي اليه في الليل فنأنس به ويمتنع عنا الوحش اذا كنا نقربه فلا يقربون ما يأوي اليه . فحملوه ثانية حتى ردوه الى موضعه الاول بعد ان بذل لهم الرجال حمله من الرصافة وكان على صدره وعلى ظهره وكتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدرى باي قلم هي . وفي هذه البلاد قرية تعرف بقصبة نهر الفضل وهي تلهوار(١) بنحو فرسخين «من» تل يعرف بتل ريحا من البلاد القديمة فيها آثار وفيه حجر عظيم مربع له سمك كثير وهو كالسرير طوله تسعة اذرع في اذرع(٢) قد غاب في الارض اكثره وعليه تماثيل ونقش وكان صاحب تلهوار احمد بن خاقان أراد اقلاب(٣) هذا الحجر لينظر ما تحته فاحتفر حوله واجتهد ان يقدر على قلبه فلم يقدر على ذلك : انهم كانوا(٤) كلما احتفروا تحته ليتمكنوا من قلبه هوى الى الحفرة فاستغرق فيها فلما أعياه ذلك تركه على حاله . وفي موضع من (٥) الذي في

«١» م ، ع : كذا في الاصل وفي معجم البلدان تل هوارة من قرى العراق . ونهر الفضل من نواحي واسط . «٢» م ، ع : كذا في الاصل .

«٣» م ، ع : اقلب بمعنى قلب وهي لغة ضعيفة .

«٤» لعله : لانه كان .

«٥» بياض بالاصل .

ظهر البطائح بين واسط والبصرة مما يلي الطفوف (١) من القبة العتيقة فيه خزانة يقال لها القارة يقال انها من خزائن قارون . طولها اربعون ذراعاً والعرض مثله وارتفاعها اكثر من ذلك. مبنية بالقار والحصى والنوى وهي مجموعة الرأس لها باب ولا نقف لها على مدخل وكان رجل من ساكني تلهوار يعرف بعمر النجار أضاف رجلا من المجتازين واكرمه فأحب ان يكافيه فأعلمه كيف الوصول الى هذه القارة وكتب له بذلك كتابا أوقفه عليه وقال له نريد ان نستعين برجل كبير وأومى الى خاقان وابي القاسم بن حوط العبدسي (٢) وكانا رئيسي البلد فاعلمهما ذلك فأعدوا له آلة لما يحتاج اليه من الفتح من مرور وآلات حديد وخشب وزبل (٣) وسلاليم (٤) واجرة سفن وحبال وغير ذلك ولزمهما عليها مع مؤن الرجال الوف دراهم كثيرة وأثبتا (٥) رجالا كثيرة للحماية لان الموضع تطرقه القرامطة والبوادي ثم أخرجاه ومن معه من الرجال في سفن في البطيحة لان الماء اذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هذه القارة دون الفرسخين فمضوا اليها . فحدثنا ابن لهذا الرجل المعروف بعمر النجار انه كان مع ابيه في الموضع

«١» م ، ع : الطف ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق ، والطف طف الفرات اي الشاطئ موضع بناحية الكوفة والجمع طفوف . «٢» غير واضح .

«٢» غير واضح . م ، ع : قال ياقوت عبدسي اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة وفي التاج عبدس كمنبر علم .

«٣» م ، ع : زبل ككتب جمع زبيل كأمير القفة او الوعاء .

«٤» م ، ع : جمع سلم وهو المرقاة .

«٥» م ، ع : كذا في الاصل ولعله بثا اي فرقا ونشرا .

فوافى فمسح مما يلي مطالع الشمس من هذه القبة اربعين ذراعاً ثم احتفر الموضع فظهر له حجر عظيم لا يقله الا الجماعة الكثيرة فلم يزل يحلحل (١) حوله حتى أخرجه واذا أزج (٢) عظيم كان ذلك الحجر عليه على بابه ولحقه المساء فعمل على المباكرة لدخول الازج والوصول الى باب القبة فبات ليلته ومن معه فلما كان من وجه الصباح حين يبدو الفجر سمعت الجماعة تكبيراً وضجة ونظروا فاذا سيوف الخيل تبين من خلال الظلمة فناذروها (٣) ولم يشكوا انها خيل القرامطة وتوجهوا نحو البطيحة والسفن التي لهم هناك فلم يزالوا كذلك يتعادون الى ان أصبحوا وبان ماقي الصحراء مما يحتاجون ان يروه فلم يروا خيلا فظنوا انها قد انصرفت عنهم فعادوا راجعين الى مواضعهم فصادفوا عمر النجار مذبوحاً في بعض الطريق ووافوا الى مواضعهم فوجدوا أمتعتهم كما هي : مافقدوا منها شيئاً . فاحتملوها واحتملوا عمر النجار وانصرفوا . وقيل انه لم يوجد الحجر ولا أثر الموضع الذي احتفروا . وقد يجد الناس ممن يجتازون بذلك الموضع اويقصده — دراهم وجواهر حول تلك الخربات والقبة وقد يأوي الى تلك الخربات النعام وتبيض فيها لخلوها وانقطاع الناس عن الاجتياز بها الا في الحين بعد الحين .

رأيت بواسط شيخاً ذكر لي في شهر ربيع الاول من سنة ٣٦٣ انه قد

«١» م ، ع : يقال حلحل الشيء اذا حركه وأزاله ولعل الاصل يحلحل ما حوله .

«٢» م ، ع : الازج بيت يبنى طولا وقد ذكر علماء اللغة أن القنطرة أزج يبنى ويعبر عليه . «٣» م ، ع : كذا في الاصل ولعله تناذروها اي انذر بعضهم بعضاً وخوفه .

تجاوز الستين سنة وان مولده ومنشأه بالدحب (١) قرية من سواد واسط وان اباه كان رجلا من اهل البصرة من بني تميم وفد قديماً الى واسط ثم استوطن السواد فولد هو فيه ونشأ الى ان بلغ ، فأحب العلم فرجع الى البصرة وأقام بها وتأدب ثم دخل البادية فأقام بها نحو عشر سنين ولقي الناس ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرفاً وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين ويلقب بسيدوك . وأخبرني هو قال قال لي ابو محمد المهلبي وقد امتدحته لمّا وزر : لمَ تسميت بسيدوك ؟ قال قلت لانه اسم رئيس الجن وانا رئيس الشعراء . قال فقال لي أفتدري لم سمي سيدوك رئيس الجن بهذا الاسم ؟ قلت لا قال . بلغني انه انما سمي بذلك لان في الجن قبيلة يقال لها هلوك (٢) وهو سيدها فاستثقلوا ان يقولوا سيد هلوك (٣) فخففوها فقالوا سيدوك والرجل كان يكنى ابا طاهر واسمه عبد العزيز بن حامد بن الحضر على ما أخبرني .

وحدثني «٤» قال كنت يوماً بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب فرماني بنارنجة نصفها أصفر ونصفها أخضر . وقال لي قل في هذه شيئاً . فقلت في الحال :

وطيبة النشر مسكية مرصعة بالتحايا «٥» العذاب
فاصفر في اون شمس المسا واخضر في لون قوس السحاب

«١» لعله : بالرحب . «٢» بالاصل يقال لها هلوك .
«٣» بالاصل سيدوك . «٤» بدائع البداءة لابن ظافر ٢ : ٢٢ .
«٥» في البدائع بالسجايا .

فلون كوجنة مرعوبة | ولون كأثر نصول الخضاب
فهذا كمصة نحر (١) الحبيب | وذاك كماء عل صرف الشراب

وأنشدني لنفسه ايضاً :

شربت حلاوة عيش الصبي | وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم اكره مما أغتدى | خضابك مستهتراً من خضابي (٢)
ولا شيء أعجب مما التقى | نصول الخضابين يوم العتاب
اشارت الى قصص محدقات | بالوان نيلوفرات طياب

وأنشدني لنفسه :

ارى قسمة الارزاق أعجب قسمة | كذي رعة (٣) مثر ومكد به الكدّ
فاحمق ذو مال واحمق معدم | وعقل بلا حظ وعقل به (٤) جدّ
يعم الغنى والفقر ذا الجهل والحجى | ولله من قبل الامور ومن بعد

وأنشدني لنفسه :

أظن بلية دهمت فؤادي | وأحسبها غزال بني سليم
والا لم بقيت فيمتريني | بدائه ضائم من غير ضيم
ولم عيني اذا فقدته كانت | كعين الشمس اذ غطيت بغيم

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله قال كنت مع ابراهيم ابن نافع العقيلي المعروف بابن البارد الطوق وبعض العرب (٥) بباري الطوق

«١» في البدائع : خد . «٢» م ، ع كذا في الاصل . «٣» م ، ع كذا في الاصل والرعة حسن الهيأة . والاولى ان تكون دعة بالدال . وهي السعة في العيش والراحة . او هي الرعية بكسر الراء الماشية الراعية . «٤» بالاصل بدي . «٥» لعله سقط : يسميه .

وكانت العامة تسميه ابن البارد الطوق . وخبروني انه سمي بذلك ابوه لانه ضرب رجلاً في عنقـه طوق فبراها (١) بالضربة قال وكان ابو اسحاق بن البارد هذا اذذاك امير نهر الايسر الذي بين رستاق البصرة والاهواز (٢) وهو اذ ذاك يليهـا من قبل معز الدولة . فورد عليـه رجل قد هرب من القرامطة من بني عقيل يعرف بمختار بن فرناس وكان من حي ابراهيم من بني معاوية بن حزن . وكان في عنق المختار هذا طوق فضـة . وكان سبب هربه على ماسمعت خلقاً من بني عقيل يخبرون بذلك اذ ذاك انه قتل اخاه وابن عمه لاجل ضيف أضافه وذلك انه كان مع الضيف مال صامت (٣) فأعمل اخوه على الغدر بالضيف واخذ المال منه فأعلم المختار بذلك (و) منعه واقتتلا بالسيوف فقتل اخاه فجاء ابن عمه يلومه وتخاطبا الى ان تجاذبا السيوف وتخابطا بها فقتل ابن عمه ايضاً وسكن من نفس الضيف حتى لا يذعر ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة فعرقب فرسه وذبحه واشتوى من لحمه واوقده حتى اصطلى به الضيف . فلما أصبح وارتحل الضيف خاف ان يبلغ القرامطة خبره فيأمر العريف باخذه واسلامه الى المحنة فهرب الى ابراهيم . فرأيت رسول القرامطة قـد جاء الى ابراهيم فأخـذه على صلح وامان ورجع الى حيه . ثم بلغنا انهم محنوه بعد ذلك تأديباً له . فما سمع برجل في زماننا من اهل البادية أشجع ولا أكرم ولا آدب منه ، والمحنة عند القرامطة انهم

(١) م ، ع : كذا في الاصل . وعليـه يعود الضمير على العنق لانهـا قد تؤنث . وفي بري العنق بري للطوق . (٢) في معجم البـلدان : كورة ورستاق بين الاهواز والبصرة . (٣) م ، ع : الصامت من المال الذهب والفضة والناطق منه الابل .

اذا نقموا على رجل استدعوه من حيه الى الاحسا بلدهم فطرحوه: امامقيداً يكدي في البلد او سائساً للخيل او راعياً للغنم او الابل او ضربوه وجددوا عليه في كل يوم لوناً من العقاب. ولا يزال عندهم حولاً واكثر وربما عاقبوه بالوان أخر لجميع ما يعملونه من التأديب يسمونه محنة.

انشدني ابو القاسم لنفسه:

اصدع صدر الرمح في صدر فارس ... واوقد ما يبقى من الرمح للضيف
واقطع سيفي في الطلى ثم انثني ... فاذبح عيري (١) بالبقية من سيفي
واني اصيف في الشتاء اذا اتى ... واني شتاء بارد الظل في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابة ... وقلب الوغى ناب عن الضيم والحيف

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحي ابن زكريا بن شيرزاد قال لما أخرج المقتدر هارون بن غريب الخال مع مونس ونصر والقواد لمحاربة القرمطي حين وافى من زبارا (٢) عرضنا الجيش لانه كان ديوان العرض الى صاحبي ابن الخال وكنت اكتب عليه وعلى امره كله فأمره المقتدر بعرض الجيش بزبارا لئلا يكون قد اخلى (٣) ممن جرد الى الحرب احد فتقدم اليّ ابن الخال بذلك فعرضتهم فكانت العدة من سائر الفرسان والرجالة مع من جرد من الحجرية وخدم الدار

«١» م، ع: كذا في الاصل والعير بفتح العين الحمار الوحشي وبالكسر الابل.
«٢» م، ع: قال ياقوت في معجم البلدان زبارا موضع اظنه من نواحي الكوفة ذكر في قتال القرامطة ايام المقتدر ولم يضبطه. «٣» م، ع: اخلى الرجل انفرد واخلاه غيره ولعله خلى اي ترك.

اثنين وخمسين الف رجل مرتزق اواحداً وخمسين. الشك من ابن شيرزاد وهذا سوى من تبعهم ممن لارزق له على السلطان وانما رزقه على صاحبه.

قال ابو جعفر وكان قد تخلف ببغداد نازوك وعسكره برسمه ورسم الشرطة سبعة آلاف فارس وراجل وبقي في دار الخليفة ممن لم يخرج الف غلام من الحجرية والف خادم (١) اقل او اكثر ممن ترك لحراسة الدار وهذه المدة سوى من كان في النواحي من الشحن (٢) الا من استدعي ممن كان في السواد لمعاون بغداد مثل طريق خراسان وطريق دجلة وسقي الفرات وهذه النواحي القريبة.

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي قال كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير بالموصل فحملوني الى حي لهم بالبادية على ايام منها فاقمت في الحي شهوراً فكنت يوماً جالساً فرأيت فتىً بدوياً يسمى بعساف حدث (٣) السن حسن الوجه راكباً. فقال لي صاحب البيت هذا رجل من بني نمير وهو جار لنا وهو شاعر فيجب ان تسمع من شعره، فقلت نعم: فسأله النزول فنزل وذاكرته بالشعر فوجدته كثير الرواية لاشعار البادية في زمانه فما انشدني بيتاً اعرفه ولا نسب شيئاً مما انشدنيه الى شاعر اعرفه: متأخر او متقدم ووجدته لا يلحن البتة. وانشدني شيئاً كثيراً

«١» م، ع: كذا في الاصل ولعله او اقل الخ. «٢» م، ع: الشحنة من فيه الكفاية لضبط البلد او الكورة من جهة السلطان والرابطة من الخيل.

«٣» م، ع: جمهور اللغويين يقولون حدث فان ذكرت السن قالوا حديث السن ونقل عن ابن سيده حدث السن وحديثها.

فملق بحفظي من ذلك قصيدة استعدته اياها دفعات حتى حفظتها وقد شذ عني منها ابيات . قال وكان هذا في سنة ٣٣٦ واسم الشاعر عساف النميري . قال ولا اعرف اسم ابيه ولا نسبه . والقصيدة :

نظرت واعلام السرية دوننا ... بعيني فتى صب يرى الهجر مغرما
واشرف ركب يهلك الطرف دونه ... يظل به الحبشية (١) الحوّ جثما
واكرهت طرف العين حتى كأنني (٢) ... ارى بفضاء الارض ستراً منمنما
اذا القوم قالوا اصح شيء (٣) حسبته ... اصم وعن رد المشورة اعجما
دعاهن من نجد لحوران بعدما ... رمين بسهم الحب قلباً متيما
تعرّض (٤) لي يوم اللوى عن مشورة ... واودعن في ذات الوشاحين مرنما «٥»
وقلن اقتلنه «٦» يا مليح فانه ... متى مارمى كانت مراميه «٧» حذما
دماء الغواني عنده ذا مستحلة ... فان نرم رشقاً «٨» نلق سهماً مسمما
فابدت على اللبات وحفاً «٩» كأنه ... عناقيد عناب تفرّع عن سلما

«١» م ، ع : الحُبشية ضرب من النمل سود عظام ، والحو السود . ومن النمل نمل حمر يقال لها نمل سليمان وجثم جمع جاثم اي لابد . والمعنى انه يتراءى له من كثرة تحديقه في الركب خيالات نمل اسود بينه وبين الركب . «٢» بالاصل كانا . «٣» بالاصل سا . م ، ع الصواب صح شيئاً وهو اقرب الى ما في الاصل . والمراد انه صح قليلا من عشقه .
«٤» لعله تعرضن . «٥» م ، ع كذا في الاصل والظاهر انه محرف عن مزعم اي مطمع . يقال زعم في غير مزعم . طمع في غير مطمع . اي انهن اودعن فيها طمعهن وثقتهن في ان تكون هي العاملة على قتله . «٦» م ، ع كذا في الاصل والظاهر اقتليه يامليحة . «٧» م ، ع المرامي جمع مرماة وهي السهم وحذما قاطعات . «٨» م ، ع يقال رموا رشقاً واحداً اي وجهاً واحداً بجميع سهامهم . «٩» م ، ع الوحف الشعر الكثير الحسن الاسود .

وجيداً كجمار «١» الفسيلة بزه ... من الليف جانيه وكان مكرّما
وعيني غضيض الطرف من جدل (٢) المها ... كحيل المآقي قرنه حين كمّما
وابيض براق الغروب (٣) كأنه ... حصى برد همّت به ان تبسما
قالت انا سعدى تبدلت بيننا ... صدوداً ومحمود العشيرة ضيغما
فقلت هنيئاً ذاك شيء يسرني ... غناها وان تلقى من العيش انعما
ولكن سليني عن حراجيج (٤) ضمر ... سواهم (٥) يحذفن (٦) السريح المخدّما
وخرق (٧) كأن البق (٨) يلدغ دفها ... اذا المعجب الساري عليها ترنما
وعن فتية شمث اللمام (٩) رمى بهم ... هويّ (١٠) المطايا مخرما (١١) ثم مخرما
سروا لسنا نار هوين (١٢) وكلهم ... من البرد ما يبدي البنان المكمما
فلما اتونا جانب الحي عرسوا ... غراثى وما ذاقوا من الامس مطعما

«١» م ، ع : الجمار شحم النخل . والفسيلة النخلة الصغيرة . «٢» م ، ع : جمع جادل وهو ولد البقرة الوحشية وغيرها اذا قوي وتبع امه وكمّ اي طلع من كمت النخلة اخرجت كمامها وهو وعاء الطلع وغطاء النور . «٣» م ، ع : جمع غرب وهو الماء الذي يجري على الاسنان . «٤» م ؛ ع : جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الارض . «٥» م ؛ ع : جمع ساهمة وهي الضامرة المتغيرة . «٦» م ؛ ع : كذا في الاصل والصواب يحذين السريح المخدما . والسريح جمع سريحة وهي شبه نعال تلبسها اخفاف الابل . والسريح المخدم هو المشدود الى الخدمة وهي سير غليظ كالحلقة يشد في رسغ البعير قال الاعشى : (وطايفن مشياً في السريح المخدم) .

«٧» م ، ع : كذا في الاصل والصواب وحرف : وهي الناقة الشديدة ودفها جنبها او صفحة جنبها . «٨» م ؛ ع : البق عظام البعوض . «٩» م ؛ ع : جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن . «١٠» م ، ع : اي سرعة . «١١» م ، ع : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل والرمل . «١٢» لعله : هويا .

جئتهم قبل القرى وقريتهم قرى لم يكن نزراً ولم يأت مغنما
وماء قديم قد مضى دون عهده اوارده عشرون حولاً متمما
وعن شزب (١) شمت النواصي كأنها سراحين يحملن الوشيج المقوّما
عليهن منا كل اروع ماجد كريم اذا ما عارض (٢) الموت اوسما (٣)
اخو حملات يعلم القوم انه ضروب بنصل السيف ضربا غشمشما (٤)
لحقت بهم جمع القطامي بعد ما دنا من يسير (٥) الصبح ان يتكلما
غداة التقينا لا سفيرة بيننا سوى مخلصات (٦) تترك الهام اقمما (٧)
يكر عليهم مخطفات (٨) كأنها صقور المضبري كان للصيد مطعما
كأن على المشوين (٩) منا ومنهم عمائم تسقى حالك اللون عندما
سلو قرن مرفوع (١٠) فقد كان شاهداً غداة التقينا اينا كان اكرما

للبحث صلة

«١» م ، ع : اي ضمر . «٢» م ، ع : العارض السحاب المعترض في الافق .
«٣» م ، ع : كذا في الاصل وصوابه اوشم ومن قولهم اوشمت السماء بدا منها برق واوشم البرق لمع لمعاً خفيفاً قال الشاعر : ﴿ حتى اذا ما أوشم الرواعد ﴾
«٤» م ، ع رجل غشمشم جريء ماض لا يثنيه شيء عما يريد ، ويقال ضرب غشمشم ومنه قول القحيف بن عمير :

لقد لقيت افناء بكر بن وائل وهزان بالبطحاء ضربا غشمشما

«٥» م ، ع كذا في الاصل . والصواب بشير الصبح اي المبشر به .
«٦» م ، ع اي سيوف اخلصت اي جعلت خالصة قال الحصين بن الحمام

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود مبهما

«٧» م ، ع الاقمم الذي اصابه داء فقتله . «٨» م ، ع ضوامر «٩» م ، ع يقال أشوى الرجل اذا اصاب شواه وهي جلدة الرأس . واليدان والرجلان . والاول هو المراد . «١٠» لعله مدفوع .

الاستاذ جبر ضومط



أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية واحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق توفاه الله ليلة الاحد الواقع في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ في الثانية والسبعين من عمره بعد ان جاهد في خدمة العلم والادب واللغة العربية اربعاً وخمسين سنة ، وقد أقيمت له جنازة مهيبة وسير بنعشه مرفوعاً على اكف تلاميذه وعارفي فضله الى منتدى الجامعة الكبير حيث صُلي عليه ، ثم نقل الى سوق الغرب يشيعه موكب عظيم من زملائه وأصدقائه وتلاميذه ودُفن بكل احترام في مدفن أسرته .

(نشأته) — كانت ولادة الاستاذ جبر ضومط في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٩ في برج صافيتا من اعمال طرابلس الشام من ابوين فاضلين ولكنه مالبث ان مُني بفقد والده وهو في الثانية من عمره فقامت والدته بتربيته وأحسنت فيها مع انه كان وحيداً لها .

تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المرسلين الاميركان في مسقط رأسه ثم انتقل

منها الى مدرسة عبيه العالية ١٨٧٠ ودرس فيها سنتين متواليتين استعداداً لدخول المدرسة الكلية في بيروت وفي سنة ١٨٧٢ التحق بالقسم العلمي من هذه الكلية (بكلية العلوم والآداب) ونال رتبة بكلوريوس علوم ١٨٧٦ وكان ممتازاً بقوة عقله ومقدرته على حل المسائل الرياضية ·

(حياته التعليمية) — بعد ان أحرز البكلوريا قصد حمص وعلّم في مدرسة المرسلين الاميركية نحو نصف سنة ثم انتقل منها الى طرابلس الشام وتولى التدريس في مدرستي الاميركان العاليتين فيها مدة ثماني سنوات كان في خلالها يطالع مؤلفات الفيلسوفين هربرت سبنسر وتشارلس داروين وقد نشرت بعض مقالاته في ذلك العهد مجلة المقتطف والنشرة الاسبوعية في بيروت ·

(أسفاره وأعماله فيها) — وكأنه سئم التدريس المتواصل وهو لا يزال في إبان شبابه وعنفوان طموحه فغادر طرابلس في سنة ١٨٨٤ الى الاسكندرية واشتغل مدة في إدارة جريدة المحروسة وترجم لها كتاب دفاع عن عرابي باشا لمحامٍ انكليزي · ثم برحها الى مصر وكانت بريطانيا العظمى في حاجة الى تراجمة للحملة السودانية التي عبأتها لانقاذ غردون باشا فتطوع الاستاذ ضومط مع صديقه جرجي زيدان لهذه الخدمة وعينا ترجمانين في تلك الحملة وصحباها الى السودان وعادا في العام التالي بعد ان عانيا من اختبارات الحملات العسكرية وأهوالها ما عانياه — وما بقي اثره بليغاً في نفس الاستاذ ضومط أورثه الكره الشديد للسياسة الاستعمارية كل ايام حياته ·

وأقام الصديقان جبر ضومط وجرجي زيدان في بيروت يدرسان العبرانية والسريانية استعداداً للاشتغال في احدى جامعات اوربا · وسافرا الى انكلترا وأقاما في لندن مدة من الزمن يترددان الى المتحف البريطاني والى بعض مكاتب لندن الشهيرة · اما الاستاذ ضومط فقد كان من نتاج درسه لهاتين اللسانين انه وضع باكورة مؤلفاته كتاب « خواطر في اللغة » ثم عاد الصديقان الى الوطن للعمل بين اخوانهم ·

(استئناف الخطة التعليمية) — كان الاستاذ ضومط قبل سفره الى بلاد الانكليز قد علّم في مدرسة كفتين العالية للروم الارثوذكس بضعة اشهر فلما آب من سفره عاد الى وظيفة التعليم في هذه المدرسة ولازمها ثلاثة أعوام حتى انتدبته الكلية السورية

الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) لادارة الدروس العربية فيها وكان ذلك سنة ١٨٨٩ على اثر استقالة سلفه الاستاذ المهندس يوسف افتيموس . وقام الاستاذ ضومط بادارة الدروس وأعباء التعليم والتهذيب خير قيام مع ما كان يلاقيه مدرسو العربية من مثبطات الهمم سواءٌ أكان ذلك من اولياء الطلبة ام من الحكومة الحميدية في ذلك العهد .

وقدرت الكلية مواهبه العقلية وجهوده في التعليم فمنحته رتبة معلم علوم سنة ١٩٠١ ورفعت مقامه الى كرسي أستاذ اللغة العربية سنة ١٩٠٩ على اثر اعلان الدستور وتنبه الحياة القومية في السلطنة العثمانية .

(مؤلفاته) — ومما يدل على مقدرة الاستاذ ضومط العقلية واجتهاده العلمي مع انه كان يلقي الدروس العربية بنفسه على الصفوف العالية ويقوم بالواجبات المدرسية المتعددة وكان رب أسرة كبيرة — فانه تمكن مع كل ذلك من وضع المؤلفات القيمة في الموضوعات التي درسها .

كانت باكورة مؤلفاته خواطر في اللغة — الكتاب الذي طبعه بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٦ وقد تناول فيه اكثر المبادئ التي سارت عليها اللغة في نشوئها . قال الدكتور يعقوب صروف (في المقالة التي أعدها قبيل وفاته لتتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذهبي) « المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قلّ منهم من يُبقي أثراً يذكر به . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومئتي سنة الى الآن يعدون بالمئات او الالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيبويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وأمثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو . ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم من بحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعد بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنحت في كلماتها حتى بلغت ما بلغته . وهذا شأن العربية — ولكني لا أعلم ان احداً أطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط ... والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع لمعرفته العبرانية والسريانية ...

ولو عرف الحميرية والحبشية لزاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض . فهو مثل ورنر وليل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك وداروين في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعضها ، ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء .. فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث ويكون متضلعاً من العربية والسريانية ومن الحميرية والحبشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيميط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية ؟ » .

وألف كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان وطبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٨٩٦ ونحا في تأليفه نحواً جديداً يلائم حال الطلبة في هذا العصر وما هم عليه من تعدد الدروس اليومية وانقلاب نسق التدريس من مجرد سماع شرح الاستاذ الى أمثولة معينة يكلفون درسها بانفسهم واستخراج مافيها من المعاني . وقد اكثر من الأمثلة والايضاحات والاعادات على ما يقتضيه الاسلوب التعليمي لكي يقرب لافهام الطلبة ما كان بعيد المنال عليهم .

ثم لم يلبث ان أردف كتاب الخواطر الحسان بكتاب فلسفة البلاغة وطبعه بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٨ وقد حاول في هذا المؤلف ان يقرر المبدأ العام الذي تنتهي اليه كل قواعد البلاغة وتتشعب عنه جميع تفرعاتها وضوابطها الكثيرة وهو الاقتصار على انتباه السامع وعلى التأثير فيه .

وكانت الحاجة ماسة الى مؤلف جديد في علم النحو فنشط الاستاذ ضومط لسد هذه الحاجة ووضع كتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب وطبعته المطبعة الادبية في بيروت . وقد أراد به ان يكون لفهم الطالب اكثر مما هو لحفظه ولتنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليه مستبدة به . وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه الى العقل فهي مما لا يعتد به .

ومما يدل على ما أحرز كتاب الخواطر العراب من المكانة عند أئمة اللغة كتاب بعث به الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال فيه يخاطب

الاستاذ ضومط — « قصرت في الاسراع الى شكرك لما أتحفت به اهل لغتك من ذلك الكتاب الذي تجلى فيه ذكاؤك واعتدال رأيك في أحسن صورة — كتاب لم تفتك فيه فضيلة الابداع ، ولم تنقصك مزية حسن الاتباع . اقتفيت اثر سلفك في تجويد الرأي واحترام مقام العقل ، فلم يهبط بك التقليد الى مايحط بالعمل و يسقط من قيمة الكد في الجد . ثم ابتدعت في تركيب كتابك على ماهو أقرب الى الفهم وأدنى الى التقريب من حقيقة العلم ... جزاك الله عن نفسك خير مايجزى به عامل عن عمله ، وجزاك عن أهل لغتك أفضل مايجزى به محسن عن احسانه » .

وكان كاتب هذه الرسالة يدرّس علم الصرف في الدائرة الاستعدادية من المدرسة الكلية في ذلك العهد وكان الاستاذ ضومط لايزال ينوي تتميم مؤلفاته في علوم اللغة فاتفقنا على وضع كتاب « فك التقليد » في علم الصرف وطبعناه في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٥ وقد قلنا في مقدمته اننا تطاولنا فيه الى الدعوى انا مجتهدون لم نتبع ولم نقلد . وسواء أصحت هذه الدعوى ام لم تصح فاننا ننبه بها كثيرين الى ان الاجتهاد في هذا الفن لم يزل بابه مفتوحاً لكل مؤلف . وحسبنا ان ننبه الخواطر الى هذه الحقيقة الراهنة ، فان اكثر الطلبة والمدرسين ان لم نقل كلهم يؤخذ من ظاهر أحوالهم انهم يعدون علم الصرف من العلوم التي أغلق فيها باب الاجتهاد فما كُتب فقد كُتب لا يجوز لمؤلف ان يتطاول الى خلافه . وفي هذا ما فيه من جمود الفكر وجمود لغتنا العربية الشريفة على ما كانت عليه في علم أفراد قلائل منذ بضع مئات من السنين الى الآن » .

وكان آخر مانشره الاستاذ ضومط بحث في من هو كاتب سفر التكوين وأجاب على سؤاله هذا بقوله هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لا موسى الكليم — بانياً رأيه هذا على ما استنتجه من درس اسفار العهد القديم ولاسيما الاسفار الخمسة ونقد سفر التكوين وتحليله باعتبار ان يوسف كاتبه لا موسى .

وقد جمعت المقالات التي نشرها الاستاذ ضومط في مجلتي المقتطف والهلال وطبعت معاً في كتاب واحد بمطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩ تحت عنوان فلسفة اللغة العربية وتطورها .

(تقاعده عن التدريس و يوبيله الذهبي) — وفي سنة ١٩٢٢ تقاعد الاستاذ ضومط

ن اعمال التدريس فأطلقت عليه عمدة الجامعة لقب أستاذ شرف للغة العربية . وفي أواخر نيسان سنة ١٩٢٨ احتفل تلاميذه واصدقاؤه الكثيرون بيوبيله الذهبي . اقاموا الحفلة في منتدى الجامعة الاكبر وشهدها جمهور عظيم من وجوه بيروت وادبائها وفضلائها يتقدمهم رئيس الجمهورية اللبنانية واركان حكومتها . وتكلم في الحفلة فريق من زملاء الاستاذ وتلاميذه وتليت رسائل و برقيات التهنئة من الكثيرين ممن لم يتمكنوا من حضور الحفلة . وناب عن المجمع العلمي العربي في دمشق الاستاذ فارس بك الخوري . ومما زاد في رونق ذلك اليوبيل ان فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قام في مستهل الحفلة وعلق على صدر الاستاذ ضومط وسام الاستحقاق اللبناني وقد اهدت اليه ايضاً رئاسة حكومة سورية الجليلة وسام الاستحقاق السوري .

(اخلاقه وصفاته العلمية) — تحلّى الاستاذ ضومط بصفات المعلم الصالح — امتلك ناصية الموضوعات التي كان يدرّسها بما خصه الله من قوى العقل الثاقب ومن الجهد في الاكباب على الدرس والتقصي في المسائل التي كان يعالجها . اكتسب محبة تلاميذه واحترامهم بغزارة علمه وكرم اخلاقه — بلطفه في معاملتهم واخلاصه في ارشادهم وقد كان يجريهم مجرى بنيه . اختطّ لنفسه أسلوباً جديداً في التعليم وحبب الى تلاميذه درس العلوم العربية على صعوبتها . كان مع جرأته العلمية وديعاً متواضعاً بعيداً عن الدعوى لا يغمط حق زميل او يحاول الحط من كرامته اذا تحدّث عنه . كان ذا شخصية محترمة عالماً عاملاً بعلمه لا يكذب قوله فعله . وفوق هذا كله كان شديد الوطنية يحض الناس على التشبث بكل ما يعز الوطن و يحفظ مقوماته الادبية والاقتصادية والاخلاقية . وان في كثير من خطبه العمومية ومن المقالات التي نشرت في المجلات ما يؤيد ذلك .

هذا غيض من فيض مما يجب ان يقال في أستاذنا الفقيد الخالد الذكر وفي ما خلف بعده من الاثر الباقي والسيرة الصالحة .

بيروت : بولس الخولي
عضو المجمع العلمي العربي

نجوى آدم

رمت بآدم أبدٍ ما أحيط بها   عن عالَم مائج الظلماء غِربيب
رمت به في عراءٍ كله عجب   فحار آدم في تلك الأعاجيب
انى تلفّت لم تأخذ نواظره   الا تحاسين من شتى الأساليب
شمس تضاحك من علياء هامتها   روضاً يميد بريّان التعاشيب
وأنجم في كفاف الأُفق لاهية   في أفقها بين تشريق وتغريب
فقال آدم : ما للشمس باسمة   هيهات ما نقصت شجوي وتعذيبي
فما الذي في مجال الطرف يطربني   أصحوة الجو أم دفق الشآبيب
أم نظرة من رفيف الفجر ناعسة   كأنها غمزة من عين محبوب
أم نفثة من شفاه الورد ناعمة   كأنها فرجة عن صدر مكروب
أم موجة في عصيف الريح صاخبة   كأنها غضبة في وجه مغضوب
أم هبّة من نسيم البان لينة   تناعم الخدّ في صبح وتأويب
هواي في شبح نشوان من مرح   ألهو به في دجى ليلي ويلهو بي
أعطيه حبي ويعطيني محبته   نذوب في مثل في الحب مضروب
نشدو قوافي الهوى في ظل ألفتنا   حياتنا في الهوى شعر المناسيب

* * *

وبينما آدم في خلوة قلِق   في جاحم من أجيج الغم مشبوب
يبعّد الغم عنه او يقرّبه   حيرانَ في بعده عنه وتقريب
إذ روح حوّاء في عطفيه وامضة   العوبة العين ، ويحًا للألاعيب
فيها من العالم المجهول أمثلة   من كل فنّ وفيها كل أسلوب
فقال آدم لما هاج هائجه   مرحبًا بسناها اي ترحيب
ما الموج ما الفجر ما الريحان من أربي   لولاك لم آلف للريحان من طيب
فما تنفّس هذا الورد في سحر   الا ليفترّ عنه ثغر رعبوب

يا دمية حجبت عني محاسنها — حتى تذوقت حسناً غير محجوب
كأنما وهبتك الشمس رونقها — يا خير موهبة في خير موهوب
ألقت شعاعاً على عينيك مؤتلقاً — بريق عينيك مأمولي ومرهوبي
هذي الروائم فيها الحس منتقد — اذا نعمت فلم أنعم بمكذوب
غدائر كصفيح اليم مائجة — تكاد تلمع في سود الغرابيب
وبسمة كحفيف الروض هادئة — تحنو على الجرب الاشجان مشجوب
حتى تسل من الملهوف لهفته — فلست تلقى عليه ظل تقطيب

* * *

هيهات ما ملأت عيني ولا أذني — عوالم حسها حس الأناصيب

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي



آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الارب »

نشرت مجلة المجمع العلمي في عددها السابع من أعداد سنة ١٩٢٩ فصلاً[١] ممتعاً للاستاذ المغربي عن تصحيح الجزء السابع من كتاب نهاية الأرب الذي نقوم بنشره دار الكتب المصرية ، وقد أورد الاستاذ في هذا الفصل طائفة من عبارات هذا الجزء وذكر ان التعبير في بعضها صواب ، وفي البعض الآخر أصوب ، ونحن مع شكرنا الخالص لحسن جهاده وفضل اجتهاده ، نرى ان نبين له وللقراء والادباء وجهة نظرنا في هذه العبارات التي اعتبرها خطأ واعتبرناها نحن صواباً خدمة للعلم وتمحيصاً للبحث :

(١) — جاء في ص ٣ س ٥ من هذا الجزء (اتى صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء ، وأخرس الفصحاء ، وفلّ حد المؤرخين) اهـ . وقد أراد المؤلف بقوله : (وفلّ حد المؤرخين) انه قد ذكر في القرآن من انباء القرون الاولى ، وقصص الانبياء والرسل الماضين ، وأحوال الامم السالفة مالا علم به للقصاص وأصحاب الاخبار من علماء الاديان الأخرى الذين كانوا في هذا العصر ولم يمكنهم الوصول الى معرفته قبل القرآن ، وقد عدّ الله سبحانه وتعالى ذكر تلك الانباء والقصص من وجوه الاعجاز في كتابه ، ودليلاً من الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى في سورة هود : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) .

ذلك ما فهمناه من كلمة : « المؤرخين » في عبارة المؤلف ، وذكر الاستاذ ان صواب

---

(١) نشرت هذا الفصل في مجلد السنة التاسعة (ص ٣٨٥) وفيه ٦٤ تصحيحاً وقد ناقشني الاستاذ صاحب هذا المقال في صحة نصفها وسكت عن الباقي . ولم أر لزوماً لإعادة القول فيما ناقشني فيه لظهور امره .

« المغربي »

العبارة : (وقل حد المعارضين) واحتج لذلك (بانه لم يكن في بلاد العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مؤرخون) اه . ونحن نقول : ان الذي كان غير معروف في بلاد العرب انما هي التسمية بالمؤرخين فقط لأنها تسمية ظهرت في العصور الحديثة ، اما العلم بمسمى التاريخ وهو القصص والأخبار فذلك كان معروفاً لديهم ، شائعاً بين علماء الأديان في هذا العهد ، ويدل على ذلك ما ذكره الله تعالى في كتابه حكاية عن الكفار في تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا) وإذن فلا نرى مقتضياً لتغيير كلمة (المؤرخين) الموجودة في الأصل (بالمعارضين) مع ظهور المعنى السابق وبعد الثانية في رسم الحروف من الاولى وان كان المعنى يستقيم بها ايضاً .

(٢) — وجاء في (ص١٩ س٦) بعد ان أورد المؤلف قوله تعالى : (اقرأ وربك الاكرم الذي علَّم بالقلم) قال : (فوصف نفسه تعالى جدّه بان علّم بالقلم كما وصف به نفسه بالكرم) اه كلام المؤلف ويريد بهذه العبارة انه كما وصف نفسه تعالى بالتعليم بالقلم وصف نفسه بسبب ذلك التعليم بانه كريم ، فالباء في قوله : « به » للسببية والهاء ضمير يعود على التعليم بالقلم ، وإذن فقوله : (به) غير زائد ولا حشو وليس من الصواب إسقاطه كما رآه الاستاذ ، بل لو أسقط لضاع بذلك معنى في العبارة لا يؤدى الا به .

(٣) — وجاء في (ص١٩ س٦) (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) قال الاستاذ : صوابه : (واعتدّ ذلك) باسقاط باء الجرّ ، واحتج لذلك بان (اعتد) هنا بمعنى (عدّ) وهو (يتعدى بنفسه) اه كلام الاستاذ : وأقول : ورد في المصباح المنير انه يقال : اعتددت بالشيء على افتعلت ، اي ادخلته في العدّ والحساب ، والشيء معتد به ، اي محسوب غير ساقط اه كلام المصباح ، وعلى هذا فإثبات الباء في قوله : (بذلك) صحيح لا خطأ فيه ، لان اعتد كما يتعدى بنفسه يتعدى كذلك بالحرف .

(٤) — وجاء في (ص١٩ س١١) في ذكر الدواة وما يجب على الكاتب من اصلاحها ، قال : (فلينعم ربها واصلاحها) اه . وقوله : (ربها) بالباء الموحدة يحتمل معنيين اولهما انه مصدر قولهم : رب فلان الامر اذا أصلحه وأحسن القيام عليه ، يريد انه يجب على الكاتب ان يتعهد دواته و يحسن القيام عليها بسائر ضروب التحسين ، وإذن فيكون

عطف الاصلاح عليه من قبيل عطف التفسير وثاني المعنيين ان المراد بالرب هنا : التطييب يقال : ربّ فلان الدهن اذا طيبه ، وقد كان بعض الكتاب كالحسن بن سهل وغيره يطيبون دواتهم بالمسك وغيره من انواع الطيب وعلى هذا فقوله (ربّها) صحيح لا بعد فيه ولا تكلف ولا ينبغي لذا ان نغيره الى ما اختاره الاستاذ من إثباتها بالياء المثناة التحتية مادام الاصل مستقيما .

(٥) — وجاء في (ص٢٥س٢) في صفة الاقلام : (تفصح باود القدود) اه . ذكر الاستاذ أن صوابه (تفضح أود) الخ ونقول انه يريد بقوله (تفصح باود القدود) ان هذه الاقلام تحاكي القدود محاكاة تامة حتى كأنها تعبر عنها تعبيراً فصيحاً ان يراها وهذا أبلغ في التشبيه وأدق في أدائه ، فان هذه العبارة تتضمن تشبيهين : احدهما تشبيه الأقلام بالقدود ، وثانيهما تشبيه تلك المشابهة بتعبير اللفظ عن المعنى في وضوحها ودلالتها على ان هذا التعبير قد ورد في الشعر ، قال الشاعر :

وطرف يترك الأبطال صرعى   بلا جرح ويعبث بالحلوم
ووجه مفصح بالصبح تبدو   على قسماته سيما النعيم

(٦) — وجاء في (ص ٣٧س٧) في الكلام على اللفظ المجازي وسبب تسميته مجازاً ما نصه : « وصف بانه مجاز على انهم قد جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً لانه ليس بموضع اصلي لهذا اللفظ ، ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره » اه كلام المؤلف . ويقول الاستاذ : « ان صوابه (يقف فيه) بالفاء بدل (يقع) بالعين المهملة » اه ونقول : ان الوقوع هنا بمعنى الحصول ، والمراد ان الكلمة المجازية حين استعمالها في غير ما وضعت له قد وقعت اي حصلت في غير مكانها الاصلي ، وكثيراً ما يستعمل الوقوع بالعين وصفاً للألفاظ فيقال : هذه كلمة وقعت موقعها وهذا اللفظ وقع في موقع هذا ، ولم نجدهم استعملوا في ذلك الوقوف بالفاء فلم يقولوا : هذه كلمة وقفت في مكانها او وقفت موقف كذا ، واما قول المؤلف بعد ذلك (كالواقف في موقف غيره) فهو تشبيه لتقريب المعنى .

(٧) — وجاء في (ص٦١ س١٤) في الكلام على الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل بان الاول يفيد الثبوت بخلاف الثاني ما نصه : « بل جعل الانطلاق

او البسط مثلاً صفة ثابتة ثبوت الطول او القصر » الخ كلام المؤلف ، قال الاستاذ : « صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) » اه . ونقول : ان إسقاط كلمة كهذه من الاصول التي بين ايدينا بدون حجة قوية لإسقاطها امر خطير لا يصح ان نرتكبه ، والا فقد اخللنا بالأمانة الواجب على المصحح مراعاتها ، ومع ان المصادر التي بين ايدينا لهذا الكلام قد تضافرت على اثبات هذه الكلمة فان المعنى على اثباتها مستقيم لا غبار عليه واما احتجاج الاستاذ لرأيه بانه لم يسبق في كلام المؤلف مثال فيه وصف بالإنطلاق ، فهو احتجاج لا يسوّغ لنا إسقاط هذه الكلمة لجواز ان يكون المؤلف قد اكتفى عن ذكر هذا المثال بالبيت الآتي بعد هذه العبارة وهو قوله :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

واما استظهار الاستاذ ان يكون هذا البيت كان متقدماً في الكلام ، وقد أخر سهواً فيمنعه ان ارتباط الكلام واتساقه من اول الفصل الى هذا البيت لايجعلنا نشعر بان البيت في غير موضعه بل اننا لا نجد في الكلام السابق موضعاً يصح ان يكون هذا البيت فيه .

(٨) — وجاء في (ص٩٧س١٦) هذا البيت :

حدا بابي ام الرئال فأجفلت نعامته من عارض متلبب

وقلنا في تفسير لفظ (المتلبب) انمعناه المتحزم بالسلاح ، يريد المتهيء للحرب ، وقد نقلنا هذه الكلمة عن كتاب حسن التوسل اذ كان لفظها في الاصل محرفاً ، وقد اعترض الاستاذ على هذا التفسير « بان (المتلبب) بهذا المعنى لا يناسب ان يكون صفة للعارض فان العارض هو السحاب المعترض في الأفق » واستظهر « ان لفظ العارض محرف عن كلمة (الفارس) وإذن يستقيم الوصف » اه كلام الاستاذ . ونقول : ان العارض هنا معناه الجيش تشبيهاً له في كثرته وكثافته بالسحاب المتراكم في الأفق ، وهو جيش المهلّب بن ابي صفرة الذي كان يقاتل قطري بن الفجاءة ، وقد شاع بين الشعراء استعارة لفظ العارض للجيش ، ومنه قول الهذلي يرثي اهل أنف عاذ :

من الأسى اهل انف حين جاءهم جيش الحمار ولاقوا عارضاً بردا

يريد ولاقوا جيشاً كالعارض الكثير البرد وإذن فوصف العارض بالمتلبب مستقيم لا غبار عليه من النقد ولا ينبغي ان نستبدل لفظ (العارض) الوارد في الاصل : بلفظ

(الفارس) كما رآه الاستاذ مع استقامة المعنى على الاول ، وبعد الكلمتين في رسم الحروف من بعضها ٠

(٩) — وجاء في (ص١٢٥س١١) في الكلام على عتاب المرء نفسه ، قال المؤلف : « ان هـذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم ينشد عليه اي ابن المعتز سوى بيتين ذكر ان الآمدي انشدهما عن الجاحظ » اه كلام المؤلف ٠ وقد كتبنا على قوله : (الآمدي) مانصه : « كذا في الاصل وحسن التوسل ، والذي في تحرير التحبير وخزانة الأدب للحموي : (الأسدي) ولم نقف فيمابين ايدينا من المظان على مايرجح احدي الروايتين) اه وقد اعترض الاستاذ على شكنا هذا في انه : (الأسدي) او (الآمدي) ورجح ان يكون المنشد هو (الأسدي) واحتج لذلك « بان الآمدي وهو ابوالقاسم الحسن بن بشر بن يحيى قد توفي بعد ابن المعتز بزمن بعيد » اه ٠ ونقول : اننا لم نشك هذا الشك الا بعد ان راجعنا كتب الأدب التي بين أيدينا والمعاجم التي اشتملت على اسماء الرواة فلم نقف على من ينسب الى بني أسد من رواة الشعر والاخبار ونحن مع علمنا بان ابا القاسم الحسن بن بشر قد توفي بعد ابن المعتز بزمن بعيد فليس ذلك مزيلاً لشكنا لجواز ان يكون الذي أنشد البيتين رجل آخر غير ابي القـاسم ينسب الى (آمد) فان (آمد) من البلاد التي ينسب اليها خلق كثير من اهل العلم ، في كل فن كما في ياقوت ٠

(١٠) — وجاء في (ص ١٨٦س٨) قال المؤلف : « وليكن ماتختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله » الخ كلام المؤلف ، وقد اعترض الاستاذ على قوله (بمثل) بان الباء زائدة ورأى ان الصواب إسقاطها محتجاً لذلك بان (مثل) خبر لقوله (يكن) اه ٠ ونقول : وما المانع من ان يكون قوله : (بمثل) متعلقاً بمحذوف خبر لقوله (يكن) وفي كتب النحو ان الخبر كما يكون مفرداً يكون جملة وشبه جملة كذلك و يريدون بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور وإذن فيكون تقدير الكلام « وليكن ماتختم به فصولك مقترناً بمثل (نسأل الله) الخ يقول : « انه يتعين على الكاتب في ختام رسائله في التعزية مثلاً ان يقرنه بالدعاء للمكتوب اليه ان يدفع الله عنه المحظور ، ويصرف عنه المكروه » الخ وقد بني الاستاذ نقده على ظنه « ان الباء في قوله : (بمثل) زائدة فقال :

(ان هذا ليس من المواضع التي تجوز فيهـا زيادة الباء) اه وليس كذلك كما بينا ، فان الباء اصلية في الكلام ·

(١١) — وجاء في (ص١٩٥ س١٠) يصف استسلام عدو : (فلاذ بالالتجاء الى سلمنا ، وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحلمنا) الخ وقد ضبطنا (إسناد) بكسر الهمزة وهو مصدر قولك : أسندت كذا الى كذ اذا جعلته متكأ له ومعتمداً ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان ذلك العدو قد عاذ من بأسنا بان أسند رجاءه الينا اي جعل حلمنا متكأ لرجائه ، ومعتمداً لآماله ، وقد اعترض الاستاذ على ضبط (إسناد) بكسر الهمزة وقال: « ان المعنى لا يستقيم عليه واستصوب ان تكون (إسناد) بفتح الهمزة على انه جمع (سند) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما اه · ونقول : ان قول الكاتب بعد : (الى كفنا عنه) يؤيد ما أثبتنا كما يمنع مارآه الاستاذ ، وقداعترف هو بذلك ، و يرجح ما أثبتنا ايضاً مقابلة الإسناد في هذه الجملة بالالتجاء في الجملة السابقة ، فكلتا الكلمتين من واد واحد ، فاذا صح ان يلوذ العدو بالالتجاء وهو مصدر صح ان يعوذ باسناد رجائه اذ لا فرق بينهما ، على ان الكاتب لا يريد بالالتجاء والإسناد معناهما المصدري ، وهو نفس الحدث بل يريد المعنى الحاصل به ، والفرق بينهما في كتب القواعد مشهور ·

(١٢) — وجاء في (ص١٩٩ س١٧) في وصف مارق يمالئ الاعداء : « وجرّ لنفسه بموالاة التتار عناء كان عنه في غنى ، وأوقع روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا » الخ · قال الاستاذ : قوله (بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه اه · ونقول : وكذلك (المظافرة) بالظاء مصدر ظافره اذا ناصره ، وهو مشتق من الظفر بفتح الظاء والفـاء وهو النصر ، فمعنى المظافرة ، المناصرة ، وهذه الكلمة وان لم ينص عليها في كتب اللغة مادة (ظفر) الا ان صيغة المفاعلة قياسية في كل فعل يراد جعله مشتركاً بين اثنين كما نص على ذلك في كتب القواعد ، واذ قد نصوا على قياسية الصيغة فلا موجب لتتبع أمثلتهـا في كتب اللغة ·

(١٣) — وجاء في (ص٢٠١ س٨) ذكر المؤلف « انه يجب أن يراعى في التقاليد والمناشير والتواقيع امور : منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة »

الخ . والمراد بالحال هنا الصفة التي يتصف بها من صدر له التقليد او التوقيع كالخبرة بفنون الحرب حتى استحق ان يقلده الملك قيادة جيشه ، اوالحذق بالامور الحسابية حتى استحق ان يجعله الملك على ديوان خراجه ، او العلم الواسع بالفقه وأحكام الشريعة حتى كان اهلاً لان يتولى القضاء او الافتاء مثلاً ، ذلك مافهمناه من كلمة (الحال) بالحاء المهملة . وقد قال الاستاذ : « لعل صوابه (المال) بالميم ، واحتج لذلك بان تواقيع الملوك كما تصدر بالرتب تصدر كذلك بالمال اه . ونقول : اذا صح المعنى على الاولى فلاموجب لتغييرها بالثانية مادام الاصل مستقيماً لا عوج فيه .

(١٤) — وجاء في (ص٢٠٤س١١) « وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح » الخ . يقال : أظله الشيء اذا غشيه كما في القاموس ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان السيوف قد غشيت الأعداء فأبادتهم كما أبادت قوم نوح دعوته عليهم ، وقد استصوب الاستاذ ان تكون الكلمة (وأطلت على الأعداء) الخ بالطاء المهملة واحتج لذلك (بان الإظلال بالظاء المعجمة للرحمة اما السيوف لا تظللهم برحمتها) اه . ونقول ان تفسير اهل اللغة الإظلال بالغشيان عام ليس مقيداً بالرحمة او العذاب ، على ان الظل ، وهو اسم للإظلال قد ورد استعماله في العذاب ايضاً كما ورد استعماله في الرحمة . قال تعالى : « الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب » واذا سلمنا ان الإظلال يستعمل في الرحمة فلمَ لا يكون استعماله هنا في العذاب من قبيل التهكم الذي يستعمله البلغاء كثيراً على حد قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » و يقول الاستاذ (ان فعل الإظلال يتعدى بنفسه لا بالحرف) ونقول (ان هذا الفعل يتعدى « بعلي » ايضاً) فيقال أظل عليه ، كما يقال (أظله) كما في كتاب أقرب الموارد .

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين

مطبوعات حديثة

الامتيازات الأجنبية

« تأليف محمد عبد الباري »

(الامتيازات الاجنبية) — علة الشرق عامة ، والدول الاسلامية منه خاصة . كانت منحة الكريم المضيف ، قلد بها عنق المضيف الضعيف . فعادت مع الايام غلاً في عنقه مايستطيع منه فكاكاً ، ولا يطيق معه حراكاً .

وليس يعرف شر هذه الامتيازات ، الا امرؤ قضى عليه نكد الطالع ان يعامل في بلده اجنبياً سيئ المعاملة شرس الطبيعة ، او آخر عانى القضاء وكان احد الخصمين في احدى قضاياه أجنبياً ، فهناك القانون مدوس ، والحق مضاع . فلا أوراق تبلغ ، ولا مجالس تعقد ، ولا أحكام تنفذ — ان هي نفذت — الا بشق الأنفس ، وبعد السنين الطوال .

فليس عجيباً بعد هذا ان لا تعد في الدول المستقلة دولة ترهقها هذه الامتيازات ، ولا غريباً ان يكون همّ الدولة اول ما تستقل ان تفلت من ربقة هذا القيد مهما كلفها الامر . ومن لم تستطعه من الدول غلاباً ، كما فعلت تركيا والفرس والافغان والصين واليابان ، حاولته طلاباً ، كما تفعل الدول المستضعفة الى اليوم ، ومنهن : نحن ومصر .

شتان ما يومي على كورها ويومُ حيان اخي جابر

هذا مادعا السيد الفاضل محمد عبدالباري الى ان يضع كتابه (الامتيازات الأجنبية) ولقد قدم هذا الكتاب الدكتور عبد الرزاق السنهوري بمقدمة ممتعة ملأى بالأنظار القانونية ، تعرض فيها للمقترحات البريطانية فنقدها نقداً صحيحاً وجرحها من حيث مساسها باستقلال مصر القضائي . ثم تناول المؤلف الكلام فبرهن على « ان في الامتيازات معارضة لمبدإ المساواة ، وهدم لأهم اركان القانون العام ، وقضاء على سلطان الدولة » .

ومضى يقدم الحجة بعد الحجة على فساد هذا النظام ، و يهدم المعذرة بعد المعذرة يستند اليها الغاصب في تبرير موقفه وتمسكه بالامتيازات ، ولو ان الحق ينال بنفسه

وقوته ، لكان خليقاً بمثل الحجج التي أدلى بها المؤلف ان تدفع عن مصر هذا الكابوس . ولكنك تسمع من ؟

وهل الابقاء على هذه الامتيازات ، وتوسيع وَلايتها بشمولها من لم تكن تشمل من قبل ، والاستمساك بها من غير تبديل ولا تعديل ، الاّ دليل على ان الغرب يريد ان يبقي هذه الامتيازات في حيث يستطيع من بلاد الشرق لسبب آخر غير الحاجة اليها من وجهة الحق والعدل ، وحماية القلة ، الجنسية او المذهبية ؟

واستنتج المؤلف ان الامتيازات ليس مصدرها اسلامياً « وانما هي من اصل روماني عرفته اوربا قبل ان تعرف الاسلام . وأساس هذا النظام فكرة (محلية القوانين ومركزيتها) واصل هذه الفكرة ان الفاتحين الرومان جروا على ترك الولايات الاغريقية الراقية تباشر تنظيم علاقاتها الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية ، ولم يفرضوا تطبيق القانون الروماني العام الا في الامور ذات الارتباط بالشؤون الرومانية العامة » .

والكتاب قيم مفيد ، لايستغني عنه رجل يعنى بدراسة القوانين في البلاد العربية التي ترزح تحت هذا النير .

عارف النكدي

نيل الوطر

« من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة »
« الحسني اليمني الصنعاني »

مما تثلج به النفس ، ان هذه النهضة العربية لايختص بها قطر دون قطر ، بل هي تكاد تعم الاقطار العربية جميعاً ، على تفاوت بينهن تقتضيه حال كل قطر ، من سبق في الأخذ باسباب النهضة الحديثة ، او موقع جغرافي ، او غير ذلك من العوامل الاجتماعية .

وهذا الكتاب الذي جاءنا من اليمن فساق هذه الكلمة ، يقع في اربعمائة صفحة ونيف فيه مئتان وخمس عشرة ترجمة من رجال اليمن جلهم ممن عانى الفقه ، وقال الشعر ، وعرف بالتقوى والزهد . وقد أورد المؤلف رجاله على النمط الذي فعله ابن خلكان وابن البسام وغيرهما ممن الفوا في التراجم .

وفي هذا الكتاب كثير من الشعر ، منه طائفة تكاد تعد في الطبقة الوسطى اودونها قليلاً . وهذا الشعر في جملته أشبه بما كان ينظمه شعراء الشام ومصر لمئة او مئة وخمسين سنة خلت . اي في القرن الثاني للهجرة . أوزان والفاظ وتواريخ .

ولا يؤخذ على أشقائنا في اليمن ان يكون بيننا وبينهم قرن من الزمن . فلقد خالطت مصر والشام ، الغرب ولابستاه برهة من الدهر أثرت في نهضته وادبه هذا الاثر .

واليمن — من حسن حظها — لم توفق الى هذه الخلطة ، او بعبارة اصح لم تصب بها . فظل أدبها قاصراً بعيداً عن الروح الجديد .

واذا كان هذا الانزواء ناقصاً في ادبها ، فلقد كان حافظاً لاستقلالها ، وما ذا على اليمن ان يظل أدبها حيث هو ، واستقلالها خالصاً تاماً لا يشوبه حماية ولا استعمار . واي شيء هي هذه الصناعة اللفظية ، والبضاعة الكلامية ، في جانب الحرية الحقيقية ، والحياة القومية .

على ان في مكنة اخواننا في اليمن ان يستعينوا بادب اخوانهم العرب المخلصين : في مصر والشام ، فيستفيدوا من النهضة الغربية بالواسطة لا مباشرة . فيفوزوا بالحسنيين : الادب عالياً ، والاستقلال باقياً .

عارف النكدي

السوريون في مصر

رسالة للخوري بولس قرألي في هجرة السوريين المسيحيين الى مصر . وطأ لها بموجز عن تاريخ القطر الشقيق ، منذ القديم الى ايام محمد علي باشا مؤسس الأسرة المحمدية العلوية .

عارف

في اوقات الفراغ

— بقلم —

« الدكتور حسين هيكل »

رسائل في الأدب والتاريخ والأخلاق والفلسفة كتبها الدكتور حسين هيكل بك وجمعها في كتاب أهداه الى احمد بك لطفي السيد مدير الجامعة المصرية اعترافاً بفضله عليه .—

يصعب في مثل هذا المقام ان أطيل الكلام على خصائص هذه الرسائل ، فمن جملة هذه الخصائص الرأي المختمر ، والفكر الجديد ، وليس بقليل ان يكون الكاتب في عصرنا هذا صاحب رأي في موضوعات شتى كالفلسفة والأخلاق والتاريخ وأشباه ذلك ، ان العصر انما هو عصر تفكير ، والكاتب كل الكاتب من انبسط مداه في أفق هذا التفكير ، غير ان الفكر وحده قد لا يخلد صاحبه فلا بدّ لهذا الفكر من قالب لفظي يجمع شيئاً من روح اللغة وعبقريتها ولكنّ الدكتور حسين هيكل بك لا يوافقنا على هذا المذهب ، ان له رأياً في مسائل القوالب اللفظية غير رأينا ، واليك شيئاً من هذا الرأي :

« الأدب لا يقوم على الألفاظ ولا على العبارات التي يستعملها الكتاب بمقدار ما يقوم على الصور والمعاني التي تلهم بها خيالاتهم وتجود بها قرائحهم » .

فالدكتور حسين هيكل بك من أصحاب مذهب المعاني فالعبرة في نظر الدكتور بالمعنى لا بالمبنى ، فلو جرينا على هذا المذهب لما كان فرق بين الأدباء وبين غير الأدباء لان المعاني كما قال شيخنا الجاحظ في القديم مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وعلى هذا الرأي اكبر كتّاب فرنسة في عصرنا ، منهم « اميل فاكه » و « اناتول فرانس » .—

اما وقد عرفنا مذهب الدكتور حسين هيكل بك في الصيغ اللفظية فلا عجب اذا وجدنا في كتابته شيئاً من المسامحة والمساهلة في هذه الصيغ فقد تستفيض العجمة في كتاباته في بعض الأحوال فاذا كنت تعرف اللغة الفرنسية وقرأت كلام الدكتور

تصوّرت لك في الحال العبارة الفرنسية التي تقابل عبارته ، من هذا القبيل قوله : ولتكون عندهم فكرة عامة من عالم بأسره ، فهذا التركيب انما هو تركيب فرنسي محض واليك التركيب الفرنسي : « afin qu, ilsaient une idée générale de tout un monde » فقد ينقل الدكتور العبارة الفرنسية حرفاً حرفاً دون ان يزيدها او ان ينقصها شيئاً اي دون ان يخلع عليها برداً عربياً يسترعجمتها ، ومن هذا القبيل كثير من عباراته ، منهـا قوله : اني اعلّق الأهمية الكبرى على الكاتب ، فالذي يستخرج من هذا ان الدكتور حسين هيكل بك يفكّر تفكيراً أعجمياً اي انه تزدحم في صدره أفكار اقتبسها من قوم غير قومه فاذا أحبّ ان يؤدي الى قومه هذه الأفكار المختمرة في ذهنه أدّاها بصورها الأعجمية ، اما ان يكون الدكتور حسين هيكل بك أعجمي المعنى فهذا لا سبيل لنا الى مؤاخذته به فان افكارنا اذا لم يمتزج بها في هذا العصر كثير من الافكار الاوروبية المستحسنة جمدت ونضب معينهـا ، واما ان يكون الدكتور أعجمي المبنى فهذا ما يسوءنا جداً لانه مصقول العقل مهذّب الفكر فلا ينبغي لهذا الفكر الصقيل ان تظهر عليه آثار العجمة ٠—

وقد يقول لنا قائل : واي غضاضة على الدكتور حسين هيكل بك في هذا كله ، أما تفهمون كلامه ? أما تدرون مراميه ? فسواء أكان أسلوبه أعجمي الطراز أم كان عربي النمط ان كلامه مفهوم ، قد يقول لنـا قائل هذا كله وشبه هذا ، فنحن نقول له : كل هذا صحيح ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا تزال تفوته عبقرية اللغة وروحها فقد اخذت تخنّق أسلوبه رائحة غريبة ، فأسلوبه فيه شيء من رائحة اللغة الفرنسية وفيه شيء آخر من العربية غير المصقولة ٠—

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي